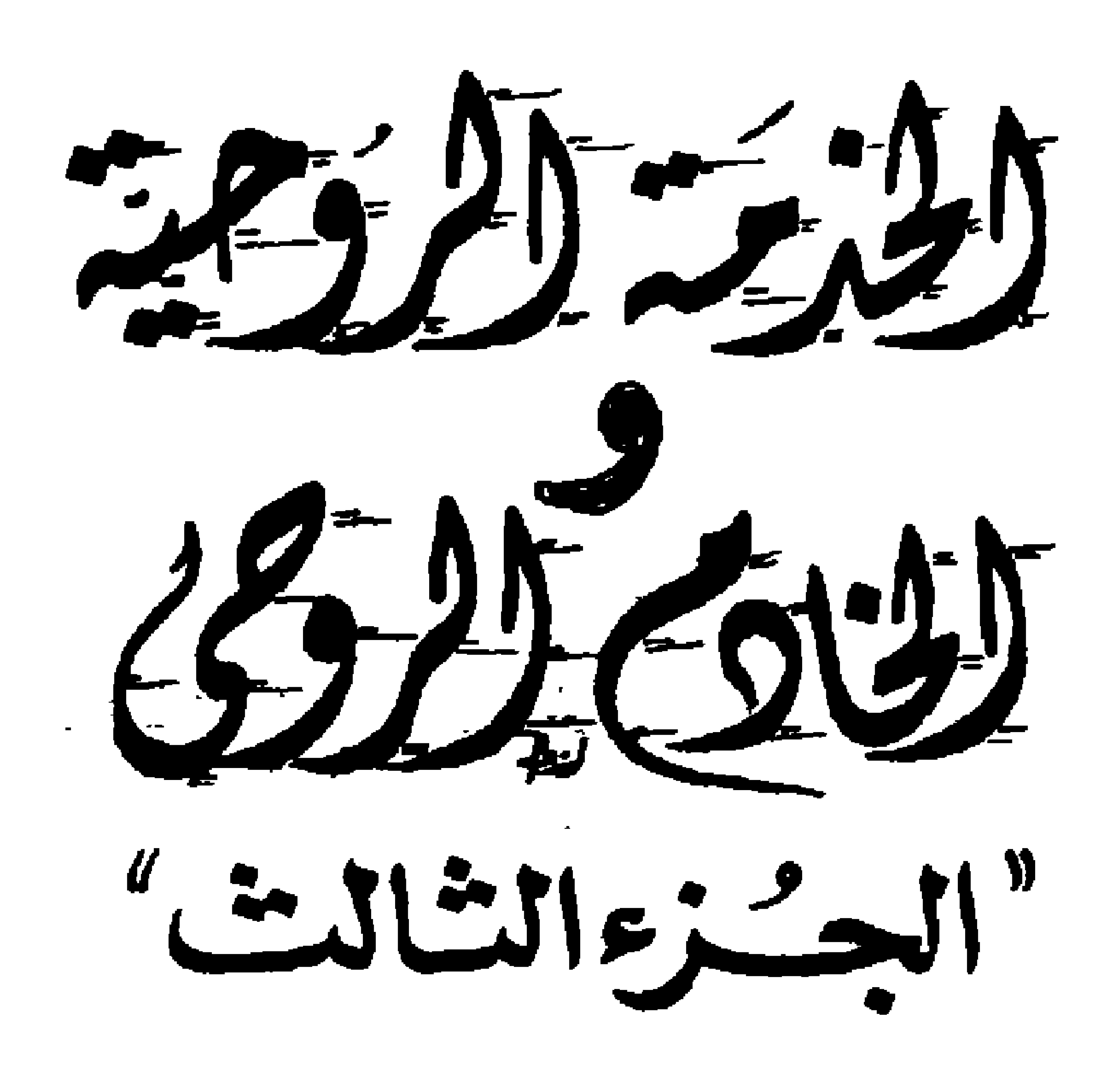
البابا شنوده الثالث

الخدمة الروحية و الخادم الروحي

"الجزء الثالث"



البابا شنوده الثالث



The Spiritual Ministry & The Spiritual Minister

Vol. III

By H. H. Pope Shenouda III

الكتاب : الخادم الروحى والخدمة الروحية ج ٣ .

المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث .

الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس .

الطبعة : الأولى سبتمبر ١٩٩٤م .

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست العباسية – القاهرة .

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٤/٩٢٤٧

I.S.B.N. 977 - 5345 - 19 - 7



قداسة البابا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة الكتاب

نتابع معك أيها القارئ العزيز نشر مقالاتنا عن الخدمة الروحية والخادم الروحي .

وقد حدثناك في الجزء الأول من هذه المجموعة عن :

☩ الخدمة الروحية : ما هي ؟

☩ مركز الله في الخدمة .

☩ التواضع في الخدمة .

☩ مقاييس الخدمة ونجاحها .

☩ الخادم الروحي .

☩ العمل الجواني .

وحدثناك في الجزء الثاني من هذه المجموعة عن :

☩ الخدمة : أهميتها – مجالاتها .

☩ قوة الخدمة .

☩ النمو في الخدمة .

✠ التعب فى الخدمة .

✠ مسحنى لأبشر المساكين .

✠ الذين ليس لهم أحد يذكرهم .

✠ يهيئ للرب شعباً مستعداً .

✠ تكونون لى شهوداً .

✠ الخادم داخل الأسرة .

وفى هذا الجزء نحدثك عن عشرة موضوعات أخرى ، يمكن أن تقرأها فى فهرست هذا الكتاب .

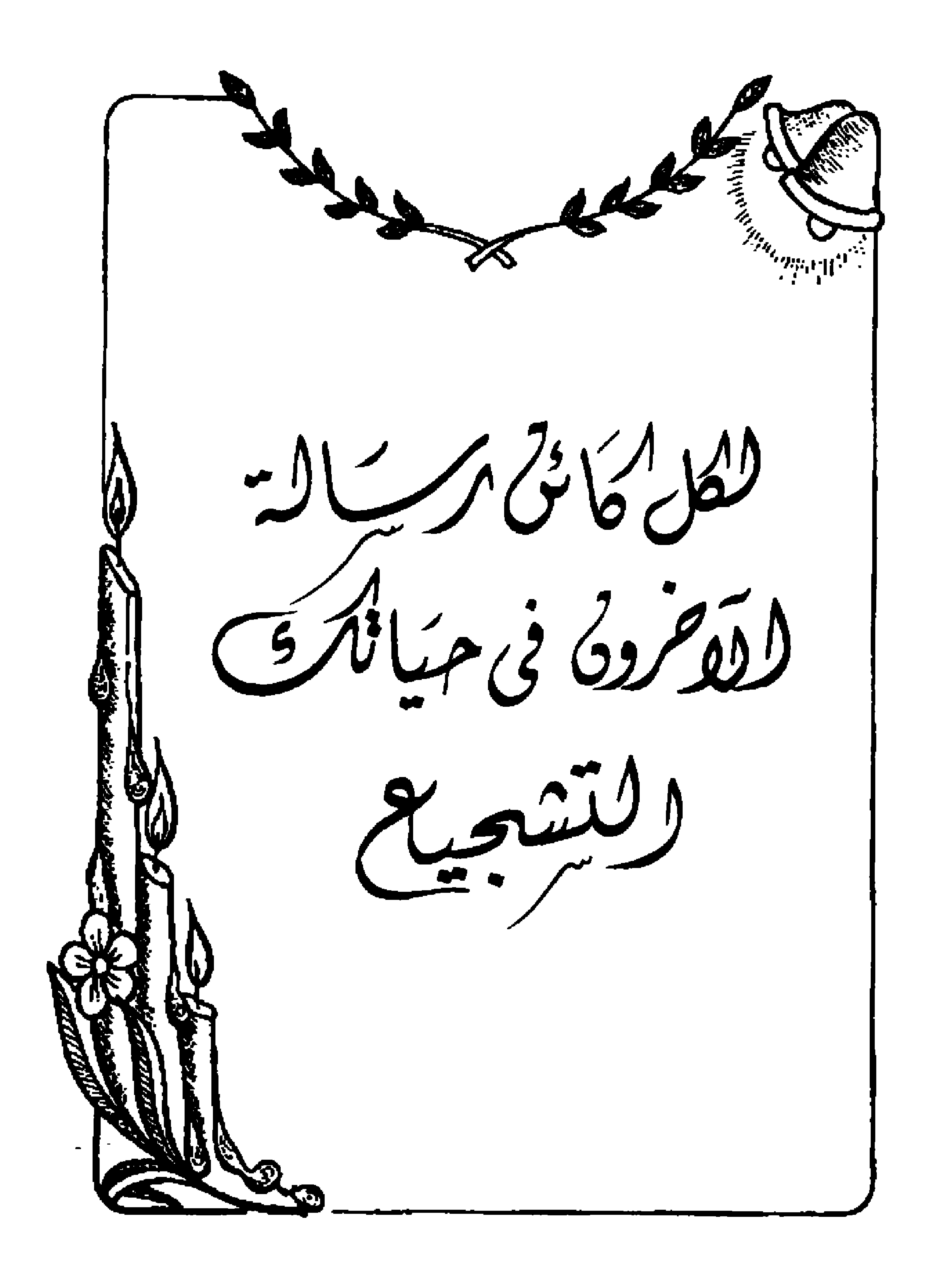
وكتابنا الرابع فى هذه المجموعة ، سيكون بمشيئة الرب عن (كيف تخدم؟) .

(أنظر إعلاناً ص ١٣٢) .

وختاماً نرجو لك نجاحاً فى خدمتك .

وتوفيقاً من الرب فى كل ما تعمله .

البابا شنوده الثالث


لكل كائن رسالة
الآخرون في حياتك
التشجيع

لكل كائن رسالة وعمل

الذى يحيا بلا رسالة ، لا قيمة لحياته .

قيمة حياة الإنسان ، تتبع من قيمة الرسالة التى يقوم بها . إن كان بلا رسالة ، يموت فتنتهى حياته . ولكن تبقى حياة أصحاب الرسالات ، حتى بعد موتهم .

الذى بلا رسالة ، لا يشعر بقيمة للوقت ، فيبحث عن طريقة يقضى بها وقته ، أو يقتل بها وقته ! وما أكثر ما يحاربه السأم والملل والضجر ، وربما القلق واليأس . لأن الحياة بلا رسالة لا طعم لها . يحاول أن يجد لها طعماً باللذة واللهو ، وهذا أيضاً لا يكفى ، وربما لا يجده !

الإنسان الذى بلا رسالة ، يتمركز حول ذاته ، ولكن تبدأ رسالته حينما يهتم بالآخرين ، ويعمل خيراً لغيره ...

الكل له رسالة ، حتى الملائكة ، والطبيعة الجامدة .

الملائكة لهم رسالة حب ، نحو الله والناس : نحو الله فى

التسبيح، ونحو الناس في الخدمة " أليسوا جميعاً أرواحاً خادمة ، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب١: ١٤) .

والشياطين أيضاً لهم رسالة يعملون لها ، ويتعبون لأجلها . ولكنها رسالة هدامة ضد مشيئة الله ، وضد الحب والنقاوة .

وقد جعل الله رسالة ، حتى لأولاد صغار ، استخدمهم الرب لتنفيذ مشيئته ، مثل صموئيل ، وداود، وأرمياء ...

والطبيعة لها رسالة ، الشمس والقمر والنجوم تؤدى رسالة جوهرية لإنارة الكون ، والهواء له رسالة ، وكذلك الرياح والأمطار. والأرض ذاتها ، التي نفلحها ، أو نبني عليها .. وباطن الأرض له رسالة .

لو لم تكن هناك رسالة لكل هذه ، ما خلقها الله .

فالله لا يخلق شيئاً عبثاً ، بدون رسالة وفائدة ...

حياتك لها رسالة ، وستؤدى حساباً على هذه الحياة . وكذلك كل مواهبك وزنات ، لها رسالة ولها حساب ...

كلما كانت مواهب أكثر ، كلما اتسع نطاق رسالتك :

سواء كانت هذه المواهب ذكاء وعقلاً ، أو فكراً ، أو خيالاً ، أو فناً ، رسماً أو شعراً ، أو أية قدرات أخرى ، تستطيع أن تضمها جميعاً في يد الله ، وتؤدى بها رسالة لخير العالم والمجتمع الذى

تعيش فيه ...

والإنسان قد تكون له رسالة محددة . أو متسعة ...

الرسالة المحددة قد يحددها نطاق مهنة ، أو نطاق مجتمع ضيق، أو مكان محدود ، أو زمن محدود .

كأن يقول إنسان : رسالتى هى الطب، أعالج أمراض الناس فى قرية معينة ، طوال حياتى على الأرض ، أو فى فترات عملى..

إنها رسالة محددة ، ومثلها أية مهنة أخرى ، تؤدى خيراً ، ولكنه خير فى نطاق محدد ، وينتهى ..

ومثله أيضاً أية خدمة إجتماعية ، على نطاق الأسرة ، أو فى محيط العمل ، أو فى مجتمع محدود ...

وهناك أشخاص يسيئون فهم رسالتهم فى الحياة :

كالأم التى تظن أن كل مهمتها ، هى الإهتمام بطعام إبنها، وملبسه، وصحته، وتعليمه، ورفاهيته .. ولا شئ غير ذلك . كأن روحيات الإبن لا وزن لها فى رسالة هذه الأم ! وكأن مصيره الأبدى لا يستحق أن يكون رسالة فى حد ذاته !..

ونفس الكلام نقوله عن الأب الذى يشعر أن رسالته نحو أبنائه قد إنتهت على خير وجه ، حينما يتوظف أولاده ، وتتزوج بناته !! أما المصير الأبدى فليس رسالته !

والبعض للأسف الشديد ، قد تكون له رسالة محطمة .

كبعض الذين يرون رسالتهم فى منح اللذة للناس ، وقد تكون لذة خاطئة ، أو مجرد الترفيه عنهم ، وقد يكون مضيعة لوقتهم إن زاد عن حده ، أو متلفاً إن فسدت وسيلته . وقد يرى أحد أن رسالته هى نوع من الفن ربما يكون فناً رخيصاً ضالاً .

ولكن هناك رسالات أخرى من الله ، رسالات مقدسة .. الله يختار لها من أبنائه من يراهم صالحين لذلك ...

لقد قال الرسول " الذين سبق فعرفهم ، سبق فعينهم " (رو٨: ٢٩) . ولعلك تقول : ما ذنبى أنا، إذا كان الله لم يخترنى لرسالة هامة ؟ أقول لك : لو كانت لك صلاحية لها لاختارك الله بلا شك..

حقاً إن الفخرانى حرّ فى أن يجعل آنية للكرامة، وأخرى للهوان (رو٩)، ولكنه حسب نوعية الطينة التى تقع فى يده، يشكلها . إن وجدها طينة ناعمة جيدة تصلح آنية للكرامة، يجعلها كذلك . وإن وجدها طينة رديئة لا تصلح للكرامة . تصير آنية للهوان ...

والله له أسلوبه فى إعداد أصحاب الرسالات :

لقد أعد رسله بالتلمذة على يديه مدى سنوات طويلة، ثم أعدهم بالتدريب العملى حينما أرسلهم إثنين إثنين ، وصحح لهم أخطاءهم (مت١٠؛ لو١٠) . وأعدهم أيضاً بقوة الروح القدس، وقال لهم

"لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وحينئذ تكونون لى شهوداً " (أع١: ٨) .

ويوسف الصديق، الإبن المدلل لأبيه ، صاحب القميص الملون وصاحب الأحلام، أعده الرب بالضيق وبالتجارب .

ما كان ممكناً ليوسف المدلل أن يصلح لرسالته الكبيرة ، لذلك سمح الله له أن يلقى فى البئر ، وأن يخونه أخوته ويتآمروا عليه، ويباع كعبد . وسمح أن يتهم ظلماً من إمرأة فوطيفار ، وأن يلقى فى السجن. كل ذلك لإعداده للرسالة ...

وموسى الذى تربى فى قصر فرعون ، فى جو السلطة .

أعده الرب لإحتمال شعب صلب الرقبة ، ينقله من الإمارة إلى الرعى ، من حياة القصر إلى البرية ، فى الإشفاق على الغنم ، حتى يشفق على الشعب العاصى ..

وهكذا كان الله بأنواع وطرق شتى يعد أولاده للرسالات :

وكثيراً ما كان يستخدم أسلوب التشجيع كما فعل مع موسى ، والوعود كما فعل مع يشوع وأرمياء ..

فى كل ما يحيط بك من ضيقات وأحداث ، اعلم أن الله يعدك للقيام برسالتك ، إن عرفت كيف تستخدم الضيقات لخيرك ، لا للتذمر والشكوى .

لقد أعد إبراهيم فى حياة الغربة ، وأعد يونان بالعواصف والأمواج وبطن الحوت ، وأعد بطرس باختبار الضعف البشرى حتى لا يظن أنه أفضل من باقى التلاميذ ...

بل إن إعداد أصحاب الرسالات الكبيرة ، يسبق أحياناً ولادتهم:

أرميا النبى ، قال له الرب " قبلما صورتك فى البطن عرفتك ، وقبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبياً للشعوب" (أر ١: ٥) .

ويوحنا المعمدان : من بطن أمه إمتلأ من الروح القدس (لو ١: ١٥)

وبولس الرسول يقول عن نفسه " لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمي، ودعانى بنعمته .. " (غل١: ١٥) .

والرسالات عند الله تتنوع ، ويختار لها أشخاصاً أكفاء ...

إن توبيخ آخاب الملك الفاسد ، والتخلص من كل أنبياء البعل ، رسالة تحتاج إلى نبى شديد مثل إيليا ، يقول بضمير مستريح "لتنزل نار من السماء وتحرق الخمسين " (٢مل١: ١٠، ١٢) .

وقيادة شعب معاند مقاوم رسالة صعبة ، تحتاج إلى الرجل موسى الذى " كان حليماً جداً ، أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عدد١٢: ٣) .

وقد يختار الله من لا مواهب لهم ، ثم يهبهم بنعمته كل ما تحتاج إليه الخدمة من مقدرات ...

قد يختار جهال العالم ، ويخزى بهم الحكماء . ويختار ضعفاء العالم ، ويخزى بهم الأقوياء (١كو١: ٢٧، ٢٨) ، ويختار أوانى خزفية ضعيفة لتحمل رسالته ، حتى يكون فضل القوة لله وليس لنا كما قال الرسول (٢كو٤: ٧) .

إن الرسالات فى الدنيا عديدة ، ولكن أعظمها هو العمل على خلاص الناس ، وحفظ أبديتهم من الهلاك .

والذين يعملون فى هذا الميدان ، " يضيئون كالجلد، وكالكواكب إلى أبد الدهور (دا١٢: ٣) . وقد قال يعقوب الرسول " من رد خاطئاً عن طريق ضلاله ، ينقذ نفساً من الموت ، ويستر كثرة من الخطايا" (يع٥: ٢٠) .

ما أعظم إنقاذ نفس من الموت : فكم بالأولى إن كانت الرسالة هى إنقاذ نفوس عديدة ...

والذين يعملون فى هذا المجال ، إنما يعملون مع الله . كما قال بولس الرسول عن نفسه وعن سيلا " فإننا نحن عاملان مع الله " (١كو٣: ٩) . وقال فى موضع آخر " كأن الله يعظ بنا " (٢كو٥: ٢٠) .. حقاً إنها شركة مع الروح القدس فى العمل . وهذه الشركة تعطى هذه الرسالة أهمية وخطورة ...

النفوس التى تعمل فى هذا المجال ، هى بلاشك نفوس كبيرة :

إن يوحنا المعمدان ، أعد الطريق أمام المسيح ، في اقل من سنة واحدة . لقد بدأ عمله وهو في سن الثلاثين ، وبعد ستة أشهر بدأ المسيح عمله . وكانت معمودية التوبة قد إكتسحت الكل . وفي شهور أعد يوحنا الطريق .

والرسل الإثنا عشر في سنوات قليلة ، أوصلو الكرازة بالإنجيل إلى أقصى الأرض ، وإلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم (مز ١٩: ٤) . وكانت كلمة الرب تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر جداً، وجماهير تنضم إلى الإيمان (أع٦: ٧)، وقد " أتى ملكوت الله بقوة .. " (مر٩: ١) .

إن أصحاب الرسالات الكبيرة ، أشخاص جادون في عملهم ..

حياتهم دسمة ، كشجرة ضخمة محملة بالثمار ...

تذكرني بقول القديس الأنبا انطونيوس عن القديس الأنبا مقاريوس " إن قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدين " ...

إن حياة أصحاب الرسالات ، لم تقتصر على جيلهم .

لقد عبروا الزمان ، فلم يستفد جيلهم فقط من رسالتهم ، بل كل الأجيال ، وكان لرسالتهم إمتداد حتى بعد موتهم أيضاً ، واستمر عملهم ...

قديسون كثيرون ، حتى بعد موتهم كلفهم الله برسالة .

الآخرون فى حياتك

صدق ذلك الأديب الذى قال :

ما استحق أن يعيش ، من عاش لنفسه فقط .

لذلك فالشخص الروحى ، فى حياته في المجتمع ، يجد لذته فـى أن يحيا لأجل غيره ، متبعاً قول الـرب ، " تحـب قريبك كنفسك" (مت٢٢: ٣٩) . وهكذا يحب كل احد من اعماق قلبه ...

وتكون محبته للآخرين محبة عمليـة حسبما قـال الرسـول " لا نحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق (١يو٣: ١٨) .

هذه المحبة تتميز بالعطاء ، وتتميز بـالبذل ، سـواء من الناحيـة الجسدية ، أو الناحية الروحية ...

لذلك فإن الشخص الروحى ، هو بطبيعته إنسان خادم .

يخدم غيره فـى كل مجـال ، لا لأنـه مطـالب بهذا ، وإنمـا لأن الخدمة جزء من طبيعته ، وجزء من كيانـه ، يشـعر فيها بـالحب، ويتغذى بها أكثر مما يغذى غيره .

وإذا كانت الخدمة هى من عمل الملائكة (عب١: ١٤) . فكم بالأولى البشر ...

والملائكة حينما يخدمون البشر، إنما يخدمونهم فى حب وبذل ، وليس عن مجرد واجب أو تكليف . أنظروا إلى السارافيم المخصصين للتسبيح ، لما سمعوا من أشعياء أنه نجس الشفتين ، طار واحد منهم بسرعة ، وأخذ جمرة من على المذبح، وطهر بها شفتى أشعياء (أش٦: ٦) .

هوذا السيد المسيح ظهرت محبته للبشر فى الخدمة والفداء:

وهكذا ورد عنه فى الكتاب " إن ابن الإنسان لم يأت ليخدم ، بل ليخدم ، ويبذل نفسه فدية عن كثيرين " (مر١٠: ٤٥) . وكما قال الرب أيضاً " ليس حب أعظم من هذا ، أن يبذل أحد نفسه عن أحبائه " (يو١٥: ١٣) .

ما أجمل أن يكون الإنسان سبب سعادة لكل من حوله :

من هنا كانت المحبة التى تتصف بها الأمومة ، والتى تتصف بها الأبوة ، كما قال الرب لأورشليم ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها " (مت٢٣: ٣٣). "إن نسيت الأم رضيعها، لا أنساكم" (أش٤٩: ١٥) . هذا الحب الذى يسعد الغير ، بالعطاء والبذل ، هو سمة من سمات الروحيين،

ولذلك حسناً قال الرب :

"مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ" (أع٢٠: ٣٥) . ففى العطاء محبة للآخرين، أما الأخذ فكثيراً ما يحوى إهتماماً بالذات ...

إن المحبة التى تعطى ، تظهر فيها أعماق قول الرب " كنت جوعاناً فأطعمتمونى.. " (مت٢٥: ٣٥) . وأعماق قول الرسول "الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه : إفتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس" (يع١: ٢٧) . والعطاء الذى ينبع من الحب ، غير العطاء الذى هو مجرد تنفيذ للوصية، أو هو لكسب المديح أو لأداء الواجب ...

هناك وظائف هى موضع محبة للناس ، لأنها تعتنى بهم :

مثال ذلك الطب والتمريض والخدمة الإجتماعية. وهناك أيضاً الأطباء الروحيون ، آباء الإعتراف الذين يحملون أثقال الناس ، ويخففون من متاعبهم . وقد يوجد شخص لا يقدم لغيره معونة مادية، ولكنه يقدم أذناً صاغية تستمع فتريحهم ، أو يقدم إبتسامة طيبة أو كلمة تطيب الخاطر ، فيحبونه .

بعكس ذلك، الذين يتمركزون حول أنفسهم، ذواتهم هى كل شئ.

ما أصعب من يقول " أنا أو الطوفان " أو الشاعر الذى قال :

إذا مت عطشاناً فلا نزل المطر

لم يكن موقفاً روحانياً ، ذلك الذى وقفه يونان حينما إغتاظ لخلاص أهل نينوى، وغضب لأن كلمته من جهة عقوبتهم، لم تنفذ، فاعتبر ذلك ضد كرامته !! لذلك عاتبه الله قائلاً له : "هل اغتظت بالصواب" (يون٤: ٤) .

أما موسى النبى ، فقد ضرب مثلاً عالياً فى محبة الآخرين .

وذلك حينما تضرع إلى الرب من أجل الشعب المخطئ قائلاً "والآن إن غفرت خطيتهم، وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت" (خر٣٢: ٣٢) . ويشبه ذلك قول بولس الرسول " فإنى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروماً من المسيح ، لأجل إخوتى إنسبائى حسب الجسد .." (رو٩: ٣) .

فكلا الإثنين فضل أن يحرم هو نفسه من الرب – أى يفقد أبديته – من أجل إنقاذ الآخرين .. وهذا أمر عجيب ، مثالى فى الحب ، وإن كان من جهة التنفيذ غير ممكن ...

فلا أقل من جهة الحب – أن تصلى من أجل الآخرين .

ولهذا هناك أناس يجعلون الآخرين عنصراً بارزاً فى صلواتهم. والكنيسة فى صلواتها الطقسية لا تترك أحداً لا تصلى من أجله ، بل تصلى حتى من أجل الحيوان والطبيعة .

والسيد الرب أعطانا تعليماً جميلاً فى الصلاة من أجل الآخرين،

حينما وضع لنا الصلاة الربية ، وفيها تكلم الله بأسلوب الجمع - لا باسلوب الفرد - مدمجين حاجيات الآخرين معنا. وكذلك نصلى قانون الإيمان :

وتعلمنا المسيحية أننا جميعاً أعضاء في جسد واحد ..

إن تألم عضو ، تتألم معه بقية الأعضاء (١كو١٢: ٢٦) . ويقول لنا الرسول " فرحاً مع الفرحين ، وبكاء مع الباكين " (رو١٢: ١٥) .

فماذا فعلنا نحن من أجل الآخرين ، أياً كانوا ؟

إننا نحب الذين يحبوننا ، ولكن السيد المسيح يقول لنا " إن سلمتم على الذين يسلمون عليكم ، فأى أجر لكم؟! الخطاة أيضاً يفعلون هكذا" (مت٥: ٤٦، ٤٧) . إذن علينا واجب حيال الخطاة والمسيئين أيضاً ... حيال من يسخرنا ميلاً . أو من يخاصمنا ويريد أن يأخذ الثوب ، أو من يلعن أو من يسئ ...

الإنسان الروحى لا يبنى راحته على تعب الآخرين . بل يتعب دائماً لكى يريح غيره ، هو شمعة تذوب لكى يستضئ الناس بها، الذين يضعهم في قمة إهتمامه ..

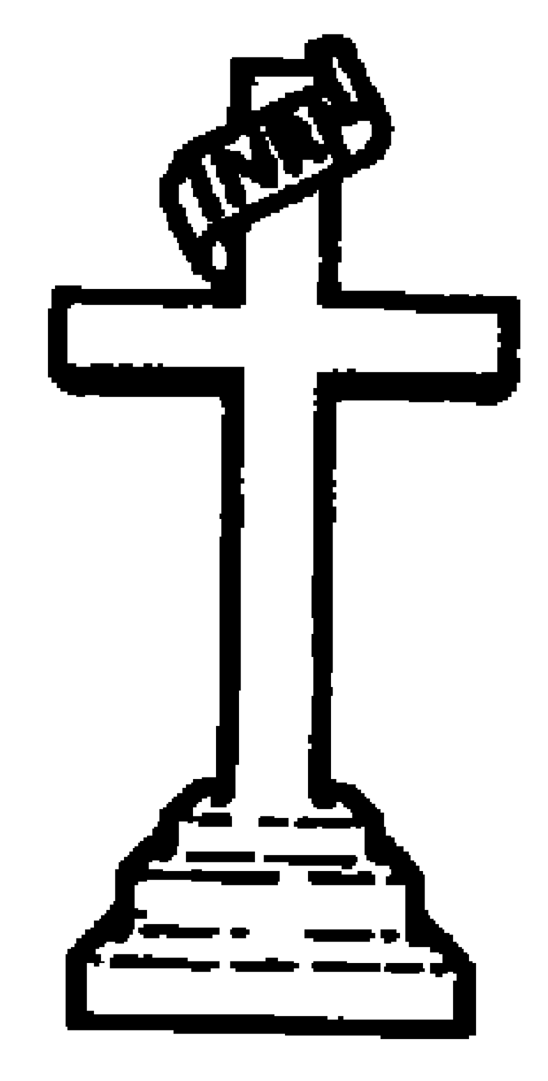
الرجل الروحي يعمل كل جهده لكى يبنى الآخرين .. لا يبحث من فيهم مستحق ، ومن هو غير مستحق إنما يفكر من فيهم محتاج،

وكيف يبذل كل جهده حتى لا يدع أحداً محتاجاً إلى شئ حين يكـون بإمكانه أن يعطيه اياه ...

وتربطه بجميع الناس رابطة قوية من حسن المعاملة . فـى جو مـن المجاملـة ومـن التفـاهم ، ومـن الـروح الواحـد ، مراعيـاً قـول الرسول ، الذى نردده فى صلاة باكر " أسألكم أنا الأسير فى الرب، أن تسلكوا كما يليق بالدعوة التى دعيتم إليها ، بكل تواضع القلـب ، والوداعة ، وطـول الأنـاة ، محتمليـن بعضكـم بعضـاً فـى المحبـة ، مسرعين إلى حفظ وحدانيـة الـروح بربـاط الصلـح الكـامل ، لكـى تكونوا .. روحاً واحداً " (أف٤) .

إن الإبن الأكبر ، لم يضع أخاه الراجـع فـى اعتبـاره، لـم يفـرح لفرحه ، ولم يشـترك فـى الوليمـة التـى صنعـت لأجلـه ، بـل ركـز إهتمامه فى نفسه وما ينبغي أن يعطى له من أبيه .

أما نحن فلننكر ذواتنا ، لكى نحب الآخرين ... ونسعدهم .



التشجيع

كثيراً ما كلمتكم عن المنتصرين الغالبين . فى روحياتهم، وفى علاقاتهم مع الله والناس. واليوم أحب أن أكلمكم عن الضعفاء والساقطين. وما ينبغى أن يقدم إليهم من تشجيع ...

إن التشجيع فضيلة كبرى. وعنها يقول الكتاب: " شجعوا صغار النفوس. اسندوا الضعفاء. تأنوا على الجميع " (اتس٥: ١٤) .

هذه اول مجموعة تحتاج إلى تشجيع : الضعفاء وصغار النفوس:

الضعفاء وصغار النفوس :

صغار النفوس هم الذين أنهارت معنوياتهم من الداخل، وصغرت نفوسهم فى أعينهم ، فأحسوا بالعجز. وقاربوا اليأس .

هؤلاء يحتاجون إلى تشجيع . يحتاجون إلى من يمسك بأيديهم ويقيمهم، لئلا يفشلوا ويضيعوا ...

كذلك الضعيف يحتاج إلى من يسنده . ويقويه .

لأن الذى يحتقر ضعيفاً ويتجنبه ، أو يزدرى به ويتهكم عليه، كإنسان فاشل أو ضائع . إنما يفقده، ويتركه إلى ضعفه بلا معين، فينتهى ، ويستمر فى سقوطه أو خطاياه .. بينما الكتاب يقول :

" من رد خاطئاً عن طريق ضلاله ، يخلص نفساً من الموت، ويستر كثرة من الخطايا" (يع٥: ٢٠) .

أخوك الضعيف الذى يسقط كل يوم، حاول أن تنقذه من ضعفه وتقيمه .. حتى إن جاهدت معه، ورأيت جهادك بلا نتيجة، ولايزال هو مستمراً فى ضعفه وسقوطه، فلا تمل من العمل لأجله، ولا تطرحه من قدام وجهك، بل شجعه ليقوم ...

ضع فى ذهنك أن قيامه قد يحتاج منه إلى وقت، ويحتاج منك إلى طول أناة ...

إن الخطايا التى رسبت فى النفس مدة طويلة ، حتى تحولت إلى عادة أو إلى طبع، لا تنتظر أن هذا الضعيف سيتخلص منها بسرعة، مهما كان كلامك له مقنعاً!! لذلك فإن الرسول لا يقول فقط " إسندوا الضعفاء " ، إنما أيضاً " تأنوا على الجميع " .

الذى خضع مثلاً لعادة التدخين . ربما يقتنع تماماً بضررها، ولكنه مع ذلك قد يعجز عن التخلص منها !! إنه يحتاج أن تسنده

بصلواتك، وبنصائحك وتشجيعك ، وأن تصبر عليه ، ولا تيأس من خلاصه وتهمله !!

الخطية التى مدت جذورها فى أعماق النفس، وسيطرت على الشعور والإرادة، قد يضعف الإنسان فى مقاومتها، وبخاصة لو أشتدت عليه حروب الشياطين من الخارج ، مع ميل للخطيئة فى الداخل، فتضعف المقاومة .. هذا يحتاج منك إلى تشجيع ...

إن كثرة التوبيخ الذى تلقيه على إنسان ضعيف قد يحطمه ..

مثل هذا يحتاج إلى نعمة ، لا إلى لوم، ربما ينطبق عليه قول الكتاب " الشر الذى لست أريده إياه أفعل .. فلست بعد أفعله أنا، بل الخطية الساكنة فىّ " (رو٧: ١٩، ٢٠) . هذا الإنسان مقيد بأغلال من العادة والطبع والرغبة والرسول يقول :

" اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم . والمذلين كأنكم أيضاً فى الجسد " (عب١٣: ٣) .

حاول أن تشجع هذا المقيد ، وساعده على التخلص من قيوده، موقناً أننا كلنا تحت الضعف ... وإن ساعدته ، ووجدته متراخياً فى خلاص نفسه ، أو ذا إرادة ضعيفة يقوم ثم يسقط ، ثم يعاود القيام والسقوط، فلا تحتقر ضعفه، بل تذكر قول الكتاب :

" قوموا الأيادى المسترخية ، والركب المخلعة " (عب١٢: ١٢)

الأيادى المسترخية هى العاجزة عن العمل، والركب المخلعة العاجزة عن القيام وعن الحركة، وكلاهما يعبران بصورة متكاملة عن عجز الإنسان كله ، وعدم قدرته على عمل أى شئ ...

ولعل بولس الرسول قد إقتبس هذه العبارة من قول الوحى الإلهى على فم إشعياء النبى " شددوا الأيادى المرتخية ، والركب المرتعشة ثبتوها " (أش ٣٥: ٣) . وقد اختبر أيوب الصديق هذا العمل الصالح . فقال له أليفاز التيمانى " ها أنت قد أرشدت كثيرين، وشددت أيادى مرتخية . بل إن أعظم مثال هو ما قيل عن ربنا يسوع المسيح :

" قصبة مرضوضة لا يقصف . وفتيلة مدخنة لا يطفئ " (مت١٢: ٢٠) .

لاقت هذه الصفة سروراً لدى الله الآب . فقال فيها عنه "مختارى الذى سرت به نفسى .. قصبة مرضوضة لا يقصف. وفتيلة مدخنة لا يطفئ " (أش ٤٢: ١، ٣) . أى أنه لا يقطع رجاء أحد. حتى لو كان قصبة مرضوضة. يربطها ربما تستقيم .

حتى لو كان فتيلة مدخنة . ربما تهب عليها ريح فتشتعل..

إذن شجع الكل . ولا تثبط همة أحد، فالكتاب يقول : "لا تشمتى بى يا عدوتى، فإنى إن سقطت أقوم" (مى٧: ٨) .

فما أسهل أن يقوم الإنسان من سقطته . بالإرشاد والتشجيع والصبر . وعمل النعمة فيه، ويتابع ميخا النبى كلامه فيقول " إذا جلست فى الظلمة . فالرب نور لى " حقاً إن الكلام الذى يفيض أملاً ورجاءً ، يقوى القلب ، ويشجعه على القيام مهما سقط، ومهما استمر سقوطه، فقال الحكيم فى سفر الأمثال :

" الصديق يسقط سبع مرات ويقوم " (أم٢٤: ١٦) ...

فإن وقع الساقط فى اليأس ، نذكره بهذه الآية . واحذر من أن تدينه فى سقوطه . " هو لمولاه يثبت أو يسقط. ولكنه سيثبت ، لأن الله قادر أن يثبته " (رو١٤: ٤) . قل له : حتى إن كنت لا تريد خلاصك، فالله يريد لك الخلاص . وهو قادر أن يخلصك ...

الله الذى " يعطى المعيى قدرة . ولعديم القوة يكثر شدة " (أش٤٠: ٢٩) . الذى " جاء يطلب ويخلص ما قد هلك " (لو١٩: ١٠) ... معزية جداً هذه العبارة الأخيرة .. إنه لم يقل يخلص من قد ضعف، أو من قد سقط، بل يخلص ما قد هلك! إنه لأمثال هؤلاء الناس قد جاء. ويقول عن رسالته فى سفر أشعياء :

"... مسحنى لأبشر المساكين، أرسلنى لأعصب منكسرى القلب، لأنادى للمسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق " (أش٦١: ١) .

نعم لقد جاء المسيح من اجل المساكين ، المنكسرى القلوب ،

المسبيين والمأسورين، جاء يحمل إليهم بشرى طيبة، كلمة تشجيع.. جاء ينادى لهم بالعتق والإطلاق ، بفك أسرهم وسبيهم. بل يقول أيضاً " لأعزى كل النائحين" " لأعطيهم جمالاً عوضاً عن الرماد، ودهن فرح عوضاً عن النوح، ورداء تسبيح عوضاً عن الروح اليائسة " (أش ٦١: ٣) .

نعم ، هذا هو عمله كراع حنون شفوق على رعيته. مهما ضلت وجرحت وكسرت . إنه يقول :

" أنا أرعى غنمى وأربضها - يقول السيد الرب - واطلب الضال، واسترّ المطرود، وأجبر الكسير ، وأعصب الجريح " (حز ٣٤: ١٥، ١٦) .

احفظ هذه الآية ، وشجع بها الضالين والمطرودين. والمنكسرى القلوب الذين جرحهم العدو، إنه يجول يبحث عن كل هؤلاء . ليردهم إليه ويريحهم. لذلك إن قابلت أحداً منهم، قل له :

لا تخف. أنت لست وحدك. إن الله لن يتركك، سيرسل لك نعمة خاصة. ويفتقدك .

إن الله يهتم بالضعفاء ، ويبحث عن الساقطين .

الساقطين :

لقد كان يجلس مع العشارين والخطاة ، وقال فى ذلك : "لم آت لأدعو أبراراً، بل خطاة إلى التوبة " " لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى" (لو ٥: ٣١، ٣٢) .

فإن كنت من هؤلاء المرضى، الخطاة، الضالين والمطرودين.. إن كنت كسيراً وجريحاً، ثق أنك من الذين جاء المسيح لأجلهم .

" إنه يفرح بخاطئ واحد يتوب، أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة " (لو ١٥: ٧) .

ما أجمل ما فعله الرب مع الخاطئة فى أورشليم (حز ١٦) . وجدها مطروحة بكراهة نفسها، مدوسة بدمها.. فلم يتركها، وإنما قال " بسطت ذيلى عليك، ودخلت معك فى عهد ، فصرت لى. فحممتك بالماء، وغسلت عنك دماءك، ومسحتك بالزيت.. وحليتك بالحلى.. وضعت تاج جمال على رأسك.. وجملت جداً جداً، فصلحت لمملكة " (حز ١٦: ٦- ١٤) .

هذا هو أسلوب الله : يشجع الخطاة على طريق التوبة، ويقويهم ويعدهم بوعود جميلة فيقول :

" أرش عليكم ماء طاهراً . فتطهرون من كل نجاساتكم..

وأعطيكم قلباً جديداً . وأجعل روحاً جديدة فى داخلكم .. وأنزع قلب الحجر من لحمكم، وأعطيكم قلب لحم. وأجعل روحى فى داخلكم، وأجعلكم تسلكون فى فرائضى وتحفظون أحكامى (حز ٣٦: ٢٥ - ٢٧) .

تشجع إذن . إن خلاصك ليس هو عملك أنت وحدك ، إنما بالأكثر عمل الله فيك . لدرجة أن الرسول يقول "إن كنا غير أمناء. فهو يبقى أميناً . لن يقدر أن ينكر نفسه " (٢تى٢: ١٣) .

إن الرب الذى اختار المجدلية ، وكان عليها سبعة شياطين (مر١٦: ٩) ، وجعلها من خاصته ، وظهر لها بعد القيامة . وكلفها بأن تبشر الرسل (مت٢٨: ١٠)، هو قادر أن يخلصك مثلها .

هو الذى أختار متى العشار ، ليكون أحد الإثنى عشر واشفق على زكا، ودخل بيته وقال " اليوم حصل خلاص لهذا البيت " (لو١٩: ٩) . ولما طرح عليه موضوع قلع الشجرة غير المثمرة، قال : "أتركها هذه السنة أيضاً " (لو١٣: ٨) . أى أعطها فرصة أخرى " حتى أنقب حولها وأضع زبلاً فإن صنعت ثمراً ، وإلا ففيما بعد تقطعها" . إنه لا يشجع فقط، وإنما أيضاً يقف على الباب ويقرع (رؤ٣: ٢٠) .

إنه يشجع الضعفاء والخطاة ، وحتى اليائسين :

اليانسين :

من أبرز المواقف لليانسين ، تشجيع موسى النبى للشعب، الـذى وجد نفسه محصوراً ما بين البحر الأحمر ، ومركبات فرعون السمائة التى تسعى وراءه .. وهوذا الموت ينتظره لا محالة . وهنا يقول موسى النبى: " قفوا وانظروا خلاص الرب، الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون " (خر١٤: ١٣، ١٤) .

ونفس الوضع بالنسبة إلى داود النبى فى المزمور الثالث حيث يقول "يارب لماذا كثر الذين يحزنوننى: كثيرون يقولون لنفسى ليس له خلاص بإلهه" . ولكن حالاً يتكلم الروح فى قلبه مشجعاً فيقول "أنت يارب هو ناصرى ، مجدى ورافع رأسى. بصوتى إلى الرب صرخت، فاستجاب لى من جبل قدسه " (مز٢٣) .

كذلك ما أجمل مزمور " يستجيب لك الرب فى يوم شدتك" (مز١٩: ٢٠) .

كله تشجيع .. لقد نشرت لكم كتاباً عن التأملات فى هذا المزمور المملوء رجاء وتشجيعاً .. إقرأ أيضاً مزمور "لولا أن الرب كان معنا" (مز٢٣) الذى يقول فيه المرتل "نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين. الفخ أنكسر ونحن نجونا.. "

كل المزمور عبارات مشجعة . وما أكثر المزامير التى من هذا النوع ... حتى الذين يئسوا لطول المدة ، أعطاهم الرب تشجيعاً ورجاء فى مجيئه حتى فى الهزيع الرابع من الليل لإنقاذ التلاميذ (مت١٤: ٢٥) .

الخائفين :

كثيرون كانوا يقفون خائفين . حتى فى مجال دعوتهم للخدمة فلم يرفضهم لخوفهم وضعفهم . وإنما كان يشجعهم ويعدهم ، ويثبت دعوته لهم . ومن أمثلة ذلك :

موسى النبى ، خاف لأنه ثقيل الفم واللسان .

لقد خاف من لقاء فرعون ، كيف يكلمه ؟ وكيف يجيب عن أسئلته واسئلة الشعب. وقال للرب "لست أنا صاحب كلام، منذ أمس ولا أول من أمس، ولا من حين كلمت عبدك. بل أنا ثقيل الفم واللسان" (خر٤: ١٠) . "ها أنا أغلف الشفتين فكيف يسمع لى فرعون ؟!" (خر٦: ٣٠) .

ولكن الرب شجعه ، ومنحه أخاه هرون معيناً له، وقال له " تكلمه ، وتضع الكلمات فى فمه. وأنا أكون مع فمك ومع فمه .

وأعلمكما ماذا تصنعان.. وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فما" (خر ٤: ١٧) .

أرميا أيضاً خاف وقال "لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد" (أر ١: ٦).

ولكن الرب شجعه وقال له " لا تقل إنى ولد، لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب.. لا تخف من وجوههم لأنى أنا معك، لأنقذك" "ها قد جعلت كلامى فى فمك، أنظر قد وكلتك اليوم على الشعوب وعلى الممالك .." (أر ١: ٧ – ١٠) .

بل أكثر من هذا، رفع معنوياته جداً وقال له "هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة، وعمود حديد وأسوار نحاس على الأرض كلها.. فيحاربونك. ولا يقدرون عليك ، لأنى أنا معك – يقول الرب – لأنقذك " (أر ١: ١٨، ١٩) .

يشوع أيضاً كان خائفاً بعد الفراغ العظيم الذى تركه موسى النبى بوفاته .

ولكن الرب شجعه ، وقال له " تشدد وتشجع" " لا يقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك. كما كنت مع موسى أكون معك. لا أهملك ولا أتركك.. أما أمرتك؟ تشدد وتشجع . لا ترهب ولا ترتعب ، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب " (يش١: ٥ – ٩) .

وهكذا شجع الرب يعقوب ، وهو خائف من ملاقاة عيسو ...

لذلك قواه ، ومنحه المواعيد وظهر له ، وأعطاه فرصة أن يجاهد معه ويغلب (تك٣٢: ٢٨) . وكان فى أول هروب قد ظهر له . أيضاً رؤيا السلم والملائكة وقال له " ها أنا معك. واحفظك حيثما تذهب. وأردك إلى هذه الأرض " (تك٢٨: ١٥) .

أسلوب التشجيع عند إلهنا، هو أسلوب ثابت .

إنه لم يشجع فقط الضعفاء والمأسورين . والخطاة والخائفين واليائسين ، وإنما أيضاً :

أصحاب القليل :

كما نصلى فى أوشية القرابين ونقول "أصحاب الكثير وأصحاب القليل، الخفيات والظاهرات" وقد تعلمنا هذا الدرس من الرب نفسه.

لقد طوب الأرملة التى دفعت الفلسين . وقال عنها إنها "ألقت أكثر من جميع الذين القوا فى الخزانة " وأن " الجميع من فضلتهم ألقوا، وأما هذه فمن أعوازها، ألقت كل ما عندها ، كل معيشتها " (مر ١٢: ٤٣، ٤٤) .

وشجع اللص اليمين الذى جاءه فى آخر ساعة من حياته، لم يوبخ تأخيره فى التوبة، ولا كل حياته القديمة الشريرة، وإنما قال

له فى محبة : "اليوم تكون معى فى الفردوس " (لو٢٣: ٤٣) .

وقال الآباء إن العنقود وإن كانت فيه حبة واحدة. ففيه بركة . يكفى أن عصارة الكرمة (سلافها) لازالت تسرى فيه. وعن هذه قال أشعياء النبى "كما أن السلاف يوجد فى العنقود، فيقول قائل: لا تهلكه، لأن فيه بركة، هكذا افعل لأجل عبيدى، حتى لا أهلك الكل" (أش٦٥: ٨) .

كم من الصغار قبلهم الرب ، وقبل عطاياهم .

قبل التسبيح من أطفال بيت لحم ، وقال " إن سكت هؤلاء فالحجارة تنطق " (لو١٩: ٤) . وهكذ دافع عنهم، وقال " دعوا الأولاد يأتون إلى ولا تمنعوهم . لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات" (مر١٩: ١٤). وتقبل من طفل خمس خبزات وسمكتين، وصنع بهذه العطية البسيطة معجزة عظيمة (يو٦: ٩- ١٤) .

ومن تشجيع الرب اشفاقه على أصحاب الأمور المستعصية :

الأمور المستعصية :

مثل معجزات الشفاء للأمراض عديمة العلاج . كمنحه البصر للمولود أعمى (يو٩). وشفاء مريض بيت حسدا الذى قضى ٣٨

سنة مطروحاً إلى جوار البركة (يو٥) . وصاحب اليد اليابسة (مت١٢: ١٠، ١٣) ونازفة الدم (مت٩: ٢٠، ٢٢) . وكافة البرص والعميان والمفلوجين .

ويقول القديس متى الرسول عنه في ذلك " فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة . والمجانين والمصروعين، والمفلوجين، فشفاهم " (مت٤: ٢٤) ... يضاف إلى كل هذا معجزات إقامة الموتى . وهكذا شجع المرضى إنه لا يأس ولا مستحيل .

وكذلك ما فعله الرب فى حالات مستعصية مثل إلقاء دانيال فى جب الأسود (دا٦). وإلقاء الثلاث فتية فى أتون النار (دا ٣) . وخلاصه العجيب فى مناسبات عديدة .. ما يفتح باب الأمل والرجاء أمام كل أحد .

وفى الكلام عن التشجيع ، نذكر أيضاً الوعود الإلهية :

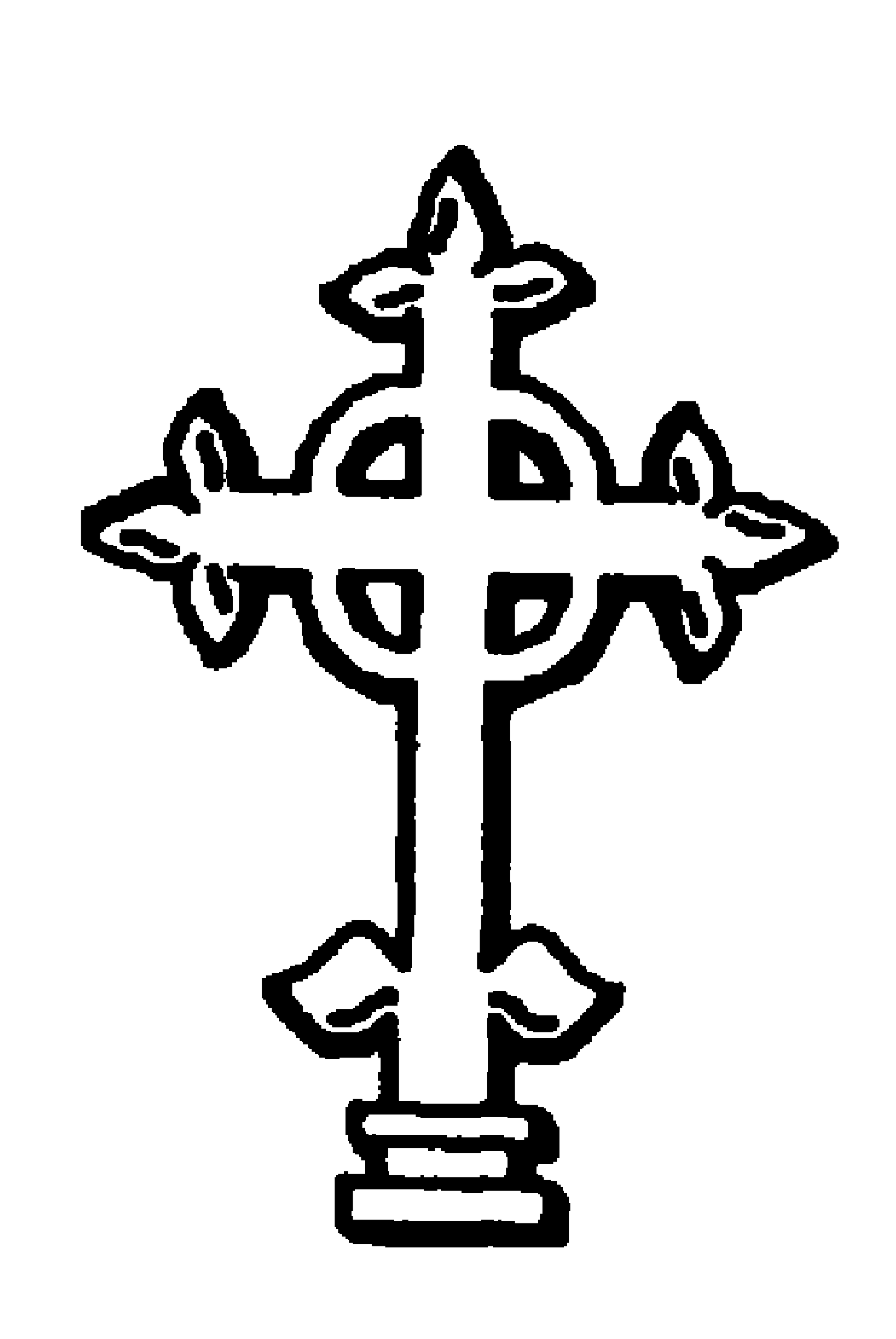
الوعود الإلهية :

كلها رجاء وتشجيع . تقوى المعنويات وتبعث الأمل، كقوله : "ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر " (مت٢٨: ٢٠) . وكقوله أيضاً " هوذا على كفى نقشتك " (أش٤٩: ١٦) .

" أمـا أنتـم فحتـى شـعور رؤوسـكم محصـاة " (مـت١٠: ٣٠) . "شعرة واحدة من رؤوسكم لا تسقط" (لـو٢١: ١٨) . وقولـه " لسـتم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم " (مت١٠: ٢٠) .

وما أجمل مواعيد الرب فى سفر المزامير ، وهى كثيرة .

ليتنا من كل ما نكرناه من أمثلة نتعود كيف نشـجع الكل، مهمـا كـانت حـالتهم، ونمنحهـم رجـاء يشـتدون بـه، وتقـوى عزائمهـم وإرادتهم. وبهذا ننقذ نفوساً من اليأس والضياع .




رابح النفوس
حكيم

رابح النفوس حكيم

ربح النفوس :

أهم رسالة لنا فى الحياة هـى ربـح النفوس . نربحهـا مـن حيث علاقتنا الطيبة بها . نربحها قبل كل شئ لله ، فتصير له .

ولعل هذا هو ما قصده الرب ، حينمـا قـال لبطـرس وإنـدراوس "هلما ورائى فأجعلكما صيادى النـاس " (مت٤: ١٩) . وهـى نفس الرسـالة التـى عهـد بهـا لتلاميـذه ، حينمـا قـال لهـم " وتكونـون لـى شهوداً.. " (أع١: ٨) .

والله هو أول رابح للنفوس .

ربحهم بالحب ، بالسعى إلى خلاصهم ، وإلى رد الضال منهم . وإصحـاح ١٥ مـن لوقـا يعطينـا ثلاثـة أمثلـة عـن ذلـك : الخـروف الضـال ، والإبن الضـال ، والدرهم المفقود ... ومن أجل هذا ، نقول عن الرب فى ختام كل صلاة بالإجبية :

الذى لا يشاء موت الخاطئ ، مثلما يرجع ويحيا . الداعى الكل إلى الخلاص ، من أجل الموعد بالخيرات المنتظرة .

الله ، من أجل ربح النفوس لملكوته ، أرسل الأنبياء والرسل لهدايتهم وقيادتهم إلى التوبة . وعين الرعاة ، وأقام الخدام ورجال الكهنوت ، لكيما يعدوا للرب شعباً مبرراً ، كما كان يوحنا المعمدان: الملاك الذى يهيئ الطريق أمامه .

وقد أعطانا السيد المسيح مثالاً عملياً لربح النفوس .

وهكذا قيل عنه إن الكل قد سار وراءه (يو١٢: ١٩) . عندما دخل أورشليم ، ارتجت المدينة لقدومه . وعندما كان يدخل البيوت كانت تزدحم حتى لا يوجد موضع لقدم . وفى قصة شفاء المفلوج : بسبب الزحام لم يستطع أصحاب المفلوج أن يدخلوه ، فنقبوا سقف البيت وأنزلوه (مر٢: ٤) . وفى معجزة الخمس خبزات والسمكتين، كان عدد الرجال – غير النساء والأطفال – خمسة آلاف .

ومن الأمثلة الرائعة لربح النفوس ، القديس بولس الرسول :

ذلك الذى قال " فإنى إذا كنت حراً من الجميع ، استعبدت نفسى للجميع ، لأربح الكثيرين . فصرت لليهودى كيهودى، لأربح اليهود، للذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس ، لأربح الذين تحت الناموس .. صرت للضعفاء كضعيف، لأربح الضعفاء.

صرت للكل كل شئ، لأخلص على كل حال قوماً " (اكو٩: ١٩-٢٢) .

صياد حكيم يلقى شباكه ، ولابد أن يرجع بها مملوءة ...

وهكذا كان السيد المسيح ، الذى قيل عنه أنه كان يجول يصنع خيراً (أع١٠: ٣٨) . كان يربح الناس بأنواع وطرق شتى : بالتعليم والكرازة ، بالشفاء، بالعطف ، بالحب ، بالتأثير الشخصى، بكل نوع

وأنت كيف تراك ستربح النفوس ؟

تربح الناس بالحب :

أول وسيلة تربح بها الناس ، هى الحب . إن لم تحب الناس، وإن لم يحبوك، لا تستطيع أن تقودهم إلى الله . لأن الناس يميلون إلى سماع من يحبونهم .

والشخص الذى ينفر منك ، تكون خسرته فى علاقتك معه . وأيضاً لا يمكن أن تجذبه إلى الله . لن يسمع منك بينما الذى تحبه، قد يحب الله بسببك وتقدم له الله بالحب .

ومن مظاهر محبتك للناس ، أن تحتملهم .

كل إنسان فى الدنيا له أخطاؤه وله ضعفاته ، وإن ظللت ترقب

أخطاء الناس وتحاسبهم عليها ، تكون النتيجة أنك تخسر الناس وأن يخسروك ... احتمل الناس إذن .

إنسان تحتمل أخطاءه ، وآخر تحتمل ثرثرته . وثالث تحتمل جهله ، ورابع تحتمل ضعفه ، وخامس تحتمل أعصابه .. إلخ .

وكرمز لطول بال الكاهن واحتماله ، تكون ملابسه واسعة فضفاضة. رمزاً لسعة الصدر . لأن الذى يكون ضيق الصدر ، يخسر الناس . تذكر أن السيد المسيح قد حمل جميع خطايا العالم كله ...

من أمثلة احتمال الله للناس ، أنه يوجد ملايين من الملحدين ينكرون وجود الله ، أو يجدفون عليه ، والله يحتملهم بدون عقوبة .

ما أسهل ان يبيد الله كل هؤلاء ، ولكنه ساكت ، يحتمل . ربما لا يخلص هذا الجيل ، ويدرك الخلاص الجيل التالى ، وهكذا يحتمل الله الذين يستهزئون بالدين والتدين .

احتمل الناس بالمحبة ، فتكسبهم ، فإن المحبة لا تسقط أبداً (اكو١٢: ٨) . وتذكر قول الكتاب :

" إن جاع عدوك فاطعمه ، وإن عطش فاسقه " (رو١٢: ٢٠) .

إن عاملك إنسان معاملة رديئة ، واحتملته فى لطف ، فإنك

بإحتمالك له – كما يقول الكتاب – "تجمع جمر نار على رأسه" (رو١٢: ٢٠) . ولاشك أن ضميره سيوبخه من جهتك . مثلما قال إنسان لشخص إحتمله " أنت تقتلنى بنبلك هذا، تحطمنى بأدبك " . كان يرى إنسانه العتيق يتحطم ...

ما أسهل ان تغلب الناس بالنبل مثلما قال الكتاب " لا يغلبنك الشر . بل اغلب الشر بالخير" (رو١٢: ٢١) .

جرب مثلاً أن يسئ إليك إنسان فتكون أول من يسعى لإنقاذه حينما يقع فى مشكلة .. جرب الأدب الجم فى الرد على إنسان متسيب فى ألفاظه لاشك أنه يحتقر نفسه ويحترمك ...

أما إن أردت أن تأخذ حقك من الناس بالقوة ، فسوف تخسر الناس ، وتخسر حقك وتخسر الله ، وتخسر أبديتك ..

وكما تربح الناس بالحب والإحتمال والمعاملة الطيبة ، اربحهم بالحكمة .

اربح الناس بالحكمة :

السيد المسيح يهمه أن نكون حكماء حتى أنه مدح وكيل الظلم ، لأنه بحكمة صنع (لو١٦: ٨). مدح الحكمة التى فيه ، وليس الظلم.

ويقول الكتاب " الحكيم عيناه فى رأسه. أما الجاهل فيسلك فى الظلام " (جا٢: ١٤).

ولأن الشمامسة يعملون أيضاً فى ربح النفوس ، اشترط الآباء الرسل - فى إختيار الشمامسة السبعة - أن يكونوا مملوئين من الروح القدس والحكمة " (أع٦: ٣) .

كان يمكن الإكتفاء بشرط الإمتلاء من الروح القدس ، على إعتبار أنه روح الحكمة والمشورة والفهم (أش١١: ٢) ولكنهم شددوا على صفة الحكمة هذه .

قال بولس الرسول : " إننا نتكلم بحكمة بين الكاملين . ولكنها حكمة ليست من هذا الدهر" (١كو٢: ٦) .

وقد تحدث القديس يعقوب الرسول باستفاضة عن الحكمة النازلة من فوق (يع٣: ١٣- ١٧) .

إنها حكمة تصلح لربح النفوس ، لأنها طاهرة مسالمة مترفقة مذعنة ، مملوءة رحمة وأثماراً صالحة ... وقال " من هو حكيم وعالم بينكم ، فلير أعماله بالتصرف الحسن فى وداعة الحكمة " .

أما الحكمة العالمية فنسميها أحياناً بالدهاء والخبث إذ تحوى تدابير شريرة .

وكم من أشخاص فكروا أن يربحوا الناس بالخداع والكذب ،

وبالإنحراف ، وبأن يكونوا ذوى وجهين ، وذوى لسانين ، وبارعين فى سبك الخطط !! وفى سبل الإغراء والتشويق . أما أنتم فلا تكن لكم هذه الحكمة ، بل الحكمة الروحية النازلة من فوق ...

أبيجايل إمراة نابال الكرملي ، استطاعت بالحكمة أن تربح داود النبى وتمنعه عن الإنتقام من زوجها وعن إرتكاب القتل (١صم٢٥) .

واعجب داود بأسلوبها الحكيم الذى يمتزج فيه الإتضاع ، بالتوبيخ الهادئ المشبع بالمديح ؟

وقال لها " مبارك الرب الذى أرسلك اليوم لاستقبالى. ومبارك عقلك . ومباركة أنت ، لأنك منعتنى عن إتيان الدماء " . وكانت لما مات زوجها ، أن تزوجها داود ، الذى قبل منها التوبيخ دون أن يغضب ...

الإنسان الحكيم يعرف متى يتكلم ، وكيف يتكلم ؟ ومتى يصمت، وكيف يتصرف ؟

ويعرف المداخل التى يدخل بها إلى نفوس الناس ، وكيف يقول لهم ما يمكنهم قبوله ، وكيف ينصحهم بما يمكنهم عمله وكيف يدرجهم فى الوصول إلى الفضيلة بل وإلى الكمال .. ولذلك اتصف آباؤنا القديسون بالإفراز .

الرجل الحكيم يزيد عدد اصدقائه .

أما الجاهل فيخسر أعز أحبائه ...

الحكيم يعرف كيف يكسب الناس . والذين قد كسبهم ، يعرف كيف يحتفظ بهم أيضاً ...

والمرأة الحكيمة لا تخسر زوجها ، ولا تخسر أقارب زوجها أيضاً : أمه وأخوته .. وحيث توجد الحكمة، يمكن أن تحل كل المشاكل الزوجية ، وكل الخلافات العائلية .. وبالحكمة كل فريق يربح الآخر .. قال القديس يوحنا ذهبى الفم :

" هناك طريقة تتخلص بها من عدوك وهى أن تحول العدو إلى صديق .

طبعاً ، لا نستطيع أن ننكر أن هناك أشخاصاً ليس من السهل كسب صداقتهم . ويكون السبب راجعاً إليهم هم. مثلما حدث للسيد المسيح نفسه مع الكهنة والفريسيين والصدوقيين ورؤساء الكهنة وشيوخ الشعب . ولو أن عدداً كبيراً منهم قد آمن فيما بعد .

ولأن كسب جميع الناس ليس سهلاً لذلك قال الرسول : "إن كان ممكناً، فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس" (رو١٢: ١٨) .

لذلك فإن ربح الناس قد يحتاج إلى صبر وإلى إحتمال، وقد يحتاج إلى وقت .

وهو لا يأتى بالإلحاح الكثير وبالإسراع .. فربما الإلحاح والإسراع يأتيان بنتيجة عكسية ، لأنهما ربما يتعبان أعصاب ونفسية الشخص الذى تريد كسبه ، أو تريد مصالحته . وربما يسببان له العناد .. أو أنه يشعر بإصرارك فيتثاقل ويعتز ويفرض شروطاً وحلولاً صعبة ...!

بالحكمة فى التصرف ، يمكن أن تكسب الناس فى العلاقات الإجتماعية وفى الروحيات أيضاً ...

أليس من المخجل أن كثيرين من أهل العالم ، يكونون حكماء ويكسبون الناس بينما أولاد الله يفشلون فيما نجح فيه أولئك ؟

مشكلة تقابل إنساناً ، فيرتبك لها ، أو يتصرف فيخطئ . ونفس المشكلة تقابل شخصاً آخر ، فيحلها بمنتهى السهولة .. إنها الحكمة..

ولكن ليست الحكمة أن تربح الناس على حساب المبادئ والروحيات، أو تربحهم وتخسر الله .

تربح النفوس لله :

العاملون فى هذه الخدمة ، سماهم الرب " صيادى الناس " . ولابد أن تكون لهم حكمة الصياد الذى يعرف طباع السمك، وطبيعة المياه . والذى يعرف كيف يلقى شباكه فى العمق .

حكمة إنسان اختبر الطريق الروحى وسار فيه ، وعرف حروبه ومطباته .. لهذا يعرف نوعية الكلام الذى يقدمه للناس .

١ - من هذه الحكمة أنه لا يقدم للناس روحيات فوق مستواهم ، لكى لا ييأسوا أو يفشلوا من أول الطريق .

هذه المشكلة عرضها السيد المسيح فى توبيخه للكتبة والفريسيين فقال إنهم " يحزمون أحمالاً عسرة الحمل، ويضعونها على أكتاف الناس " (مت٢٣: ٤) .

كثير من الخدام لهم مثاليات معينة ويريدون أن كل احد يسير فى هذه المثاليات ، ومن أول خطوة .!!

وإلا فإنهم يرفضونه وينتقدونه ويقولون إنه لا يصلح للطريق الروحى . بينما السيد المسيح لم يقل هكذا ، بل إنه تدرج حتى مع تلاميذه ، وقال لهم " عندى كلام لأقوله لكم، ولكنكم لا تستطيعون أن تحتملوا الآن " (يو١٦: ١٢) . وتلميذه بولس الرسول تعلم هذه القاعدة فقال :

" سقيتكم لبناً لا طعاماً ، لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون " (١كو٣: ٢) .

والرسل الإثنا عشر - فى مجمع أورشليم - راعوا نفس القاعدة فرأوا أنه " لا يثقل على الأمم الراجعين إلى الله . بل يرسل إليهم

أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام ، والزنا، والمخنوق، والدم" (أع١٥: ١٩، ٢٠) . فلا يوضع على أعناقهم نير " لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله " (أع١٥: ١٠) .

ولكن ليس معنى التدرج ، أن نتساهل فى وصايا الله ! كلا، بل ندرب الناس عليها بالتدريج ، إلى أن يصلوا ..

ذلك أن بعض الخدام يغلقون أبواب الملكوت أمام الناس ، بتصعيب الطريق فلا هم يدخلون ، ولا يجعلون الداخلين يدخلون (مت٢٣: ١٣) .. والبعض الآخر يتساهلون إلى الدرجة التى يفقد فيها المخدوم روحياته ، ويفقد جدية الحياة الروحية أيضاً ... !

٢ - ومن الحكمة أن الخدام لا يقودون الناس فى مناهج روحية متناقضة ..

كأن يتوب إنسان ، فيقوده البعض إلى حياة الندم والإنسحاق والدموع، بينما يشده البعض الآخر إل حياة الفرح بالرب "وبهجة الخلاص " ويشجعه فريق على الخدمة وعلى التحدث بكم صنع الرب به . بينما يقوده آخرون إلى الشعور بعدم الإستحقاق ، وعدم الإسراع إلى الخدمة ، حتى تستوفى التوبة حقها من مشاعر الخزى على الخطية ...

وهكذا يرتبك المسكين بين مشورات متناقضة ، ولا يدرى أين

يسلك !

ويزيد الأمر تعقيداً أن كل فريق يشرح له أن الفريق الآخر مخطئ ، وإن سلك وراءه سيضيع! وهنا تظهر الذات فى الخدمة . ويتنافس الخدام بغير حكمة فى إختطاف المخدومين من بعضهم البعض .

٣ - كذلك ليس حسناً أن يقحم خادم نفسه فى خصوصيات إنسان ، ويتطوع لإرشاده ، بدون معرفة بظروفه وداخلياته ونوع نفسيته .

لذلك فإن الكنيسة وضعت هذا الإرشاد تحت مسئولية أب الإعتراف الذى يعرف نفسية وظروف المعترف ، ويستطيع أن يقدم له العلاج الذى يناسب حالته . وفى نفس الوقت يقوده فى منهج واحد لا تناقض فيه ، يوافق مستواه الروحى .

رابح النفوس الحكيم يعرف متى يقدم التوبيخ على الخطية ، ومتى يفتح باب الرجاء بلا توبيخ ، حسبما ينفع النفس .

فالشخص الغارق فى تبكيت نفسه اليائس من خلاصه ، فهذا نقدم له الرجاء . أما الذى لا يشعر بجسامة الخطية ، وينظر إليها ببساطة ممتزجة باللامبالاة ، فإننا نوبخه بشدة لكى يستيقظ إلى نفسه ويعرف أن الخطية خاطئة جداً ، وأجرتها الموت .

٤- والخادم الحكيم لا يحاول أن يجعل من يخدمهم صورة منه

فلا يقود الناس إلى الوحدة ، والصمت ، إن كان هو يحب ذلك . فربما له تلميذ إجتماعى لا تناسبه الوحدة .

وبالعكس لا يقود مخدوميه كلهم إلى الخدمة التى تستغرق كل الوقت والجهد إن كان هو يحب ذلك ، فربما له تلميذ يحب حياة الصلاة والتأمل والهدوء .

لا يجوز له أن يطبعهم بطابعه ، فكل إنسان له نفسيته الخاصة ، وله ما يناسبه ...

وكل إنسان له ظروفه الخاصة ، وله درجة معينة فى الروحانية، ربما لا يوافقها المنهج الذى يسير عليه الخادم .

وظيفة الخادم إذن أن يرشد إلى الحق مجرداً. ويترك التفاصيل إلى ما يناسب نوعية النفس ، وإلى إرشاد أب الإعتراف .

بعض الخدام إذا تحمسوا لشئ ، يريدون أن يتحمس له كل أحد، مهما كانت حالته !

فمثلاً واحد منهم متحمس لإصلاح معين ، وثائر فى داخله ، يريد أن يكون الجميع ثائرين مثله ! وقد تضرهم هذه الثورة ، وقد يخطئون فيها ، وقد لا تكون حكيمة ...

أو شخص يحب الرهبنة ، فيدعو الكل إليها وقد لا تناسبهم .

٥ - رابح النفوس الحكيم ، ينبغى أن يكون صبوراً لا يمل.

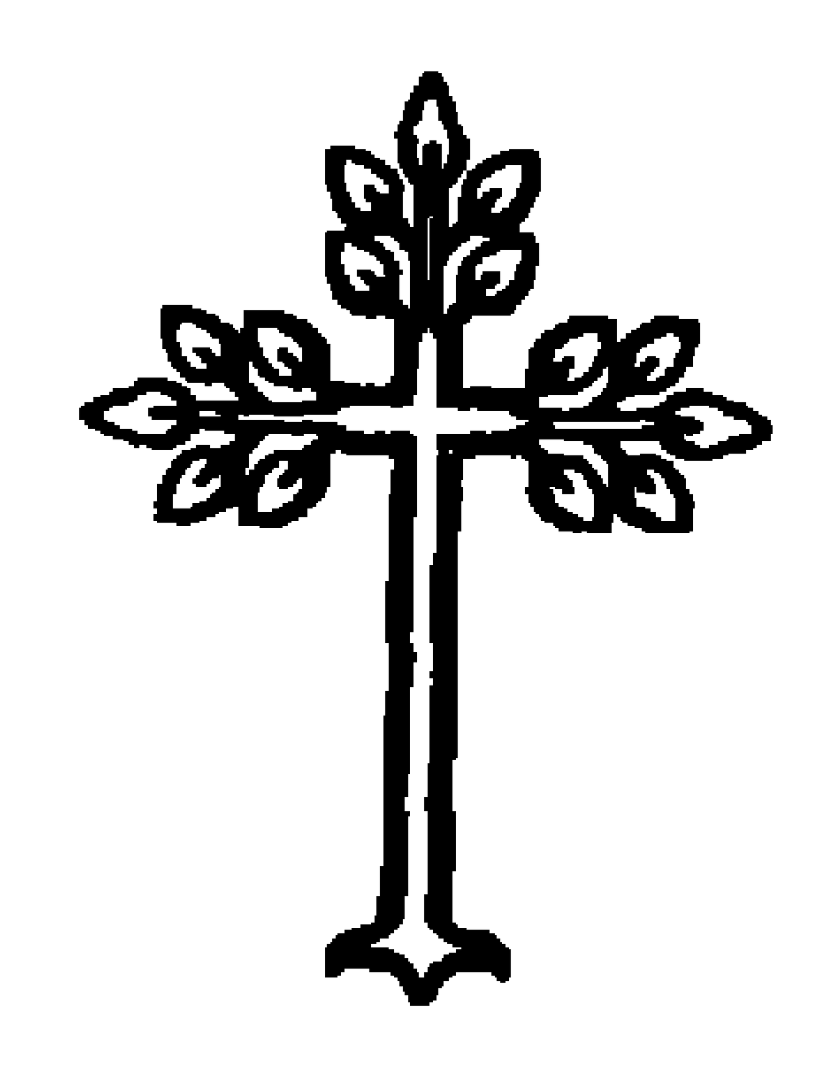
ليس من الحكمة أن يتعجل الثمر ولا أن ييأس من مخدومه ويتركه ، إن لم يستجب لتعليمه بسرعة ، أو تحتد أعصابه عليه ويكثر من توبيخه لئلا يفشل ذاك أيضاً .

الخدمة تحتاج إلى طول أناة ، وإلى رفق بالخطاة . كما أن الرب نفسه يتأنى ، وطول أناته تقتاد إلى التوبة (رو٢: ٤) .

بطول الأناة تحول أوغسطينوس من شاب خاطئ إلى قديس عظيم ، وتحول شاول الطرسوسى من مضطهد للكنيسة إلى أكبر كارز تعب فى الخدمة .

لذلك لا تشطب من كشفك أسماء الذين افتقدتهم بضع مرات ولم يحضروا، ولا تيأس من الذين نصحتهم مراراً ولم يتوبوا ..

ولا تظن أنه لا استجابة ، ربما توجد الإستجابة ، ولكن تحتاج إلى وقت ...



رابح النفوس حكيم (٢)

لا تكن نقاداً :

هناك أشخاص لا يرون فى غيرهم إلا ما يعيبهم . ولا ينظرون إلى الآخرين إلا بمنظار أسود . فهم باستمرار ينتقدون ، ويخسرون الناس بنقدهم لهم ...

أما الإنسان الروحى ، فإنه لا ينتقد كثيراً ، ولا يدين كثيراً . وإذا كان هناك داعٍ روحى للنقد ، فإنه ينتقد فى حكمة وفى محبة وفى لطف . لذلك يكسب الناس .

والسيد المسيح ، الذى سيأتى فى مجده ، ليدين الأحياء والأموات ، يقول إنه لم يأت لكى يدين العالم، بل ليخلص العالم (يو٣: ١٧) . فإن أردت أن تربح الناس ، اسلك كما فعل السيد المسيح . وبدلا من أن تعكف على إدانتهم ، أعمل على خلاصهم ..

بدلا من أن تحكم عليهم ، اشفق عليهم . وبدلاً من أن توبخهم

على أخطائهم، ساعدهم على التخلص من تلك الأخطاء .

فى قصة المرأة الخاطئة ، التى ضبطت فى ذات الفعل ، لم يستطع أن يكسبها الذين عاملوها بقسوة وحكموا عليها ، طالبين رجمها . أما السيد المسيح فقد استطاع أن يكسب نفسها بأن دافع عنها ضد المشتكين عليها ، ثم قال لها "ولا أنا أدينك. اذهبى ولا تخطئى أيضا " (يو٨: ١١) .

الناس يحتاجون إلى عين مغمضة ، لا تنفتح لتنظر إلى أخطائهم ، محملقة فيما يفعلون ! يحتاجون إلى عين إن رأت خطأ ، كأنها لم تبصر شيئاً .

يحتاجون إلى قلوب مشفقة عطوفة ، تدرك تماماً ضعف الطبيعة البشرية وسهولة سقوطها ، وتشفق على الناس إن سقطوا ، وتصلى من أجلهم لكى يقوموا .. وبهذا تربحهم ..

لا يمكنك أن تربح الناس ، إن كنت باستمرار تتأمل أخطاءهم، وتفحص عيوبهم، وتتحدث عنها أمام الآخرين، وتستصغرهم بسببها. وقد تعايرهم بها ..! وهكذا تخدش مشاعرهم ولا تكسبهم ..

إننا فى عالم جوعان إلى العطف ، وإلى الحنان والمعاملة اللطيفة ، وقد ذكر القديس بولس الرسول إن اللطف هو من ثمار الروح (غل٥: ٢٢) . عامل الناس إذن بلطف .

ولا تكن عينك مفتوحة لأخطائهم ، إنما مفتوحة لترى فضائلهم .

إن تركيزك على أخطاء الناس ، ربما يدفعهم إلى اليأس أو إلى صغر النفس ، كما أنه لا يشعرهم بإحترامك لهم ، أو على الأقل بتقديرك لحالتهم ورغبتك فى إنقاذهم .

يمكنك كخادم أن تنقذهم من أخطائهم ، دون أن تخجلهم بها .

ويستثنى من هذا ، أولئك الذين هم فى حالة الإستباحة واللامبالاة ، ويحتاجون إلى من يوقظهم من سباتهم الروحى ، ليعرفوا خطورة ما هم فيه وينيروا طريقهم ...

وحتى هؤلاء ، يحتاجون إلى من يوبخهم . دون أن يشعرهم بإحتقار ، كما أنه ينتهز باسلوب من يحب ومن ينقذ .

صدقونى ، كما أن الناس جياع إلى العطف والحنان ، هم أيضاً جياع إلى المديح والتشجيع .

المديح الذى يشعرهم أن فيهم شيئاً خيراً ، فترتفع معنوياتهم ، ويشعرون أنهم قادرون على حياة البر .

إسلوب المديح والتشجيع :

تأكد تماماً أن الشخص الذى تمدحه فى صدق وفى إخلاص ، من السهل أن تكسبه. وكذلك الذى تشجعه كثيراً تكسبه . والذى

تكتشف فضائله وميزاته وقدراته ، وتتحدث عنها، يمكنك بهذا أن تكسبه ..

بهذا كله ، تشعره بمحبتك وتقديرك ، فيميل إليك ، ويكون مستعداً أن يسمع نصائحك ، وأن يقبل عملك الروحى من أجله .

تصور أنك فى إجتماع ، يحضره لأول مرة عضو جديد. لتقدمه أنت للحاضرين ، وتشرح مواهبه وإمكانياته وتاريخه وإنتاجه ، وتظهر فرحك بوجوده . لاشك أنك بذلك تكسبه ، إذ يجد فيك صديقاً يحترمه ويقدره .

ولكن ليس مديح الناس معناه تملقهم . كلا . وإنما كل إنسان – مهما كان – له ميزة أو ميزات . اكتشفها وامتدحها، بصدق وإخلاص .

لقد وجد السيد المسيح شيئاً صالحاً يستحق المديح فى زكا العشار ، وفى المرأة السامرية ، وفى الخاطئة التى بللت قدميه بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها .. بل حتى فى الشاب الغنى ، إذ قيل عن الرب بأنه " نظر إليه وأحبه " (مر ١٠: ٢١) . كما أنه قال للسامرية " حسناً قلت .. هذا قلت بالصدق " (يو ٤: ١٧، ١٨) . وقال عن الخاطئة الباكية إنها " أحبت كثيراً " (لو٧: ٤٧) . وشرح كيف أنها كانت أفضل من سمعان الفريسى .

إن الرب فى كل هذا ، اكتشف الجوهرة المدفونة فى الطين ، ونظفها ومدحها ، وأظهرها للناس ، فربحها، ورابح النفوس حكيم .

كان شاول الطرسوسى مضطهداً للكنيسة ، وكان يجر رجالاً ونساء موثقين إلى أورشليم (أع٩: ٢) . ومع ذلك كان فى داخله شئ حسن. رآه المسيح، فاختاره رسولاً يبنى به الملكوت.. إن اكتشاف النور الداخلى الذى تخفيه ظلمة خارجية، أمر جميل ومشجع ..

يوجد كثيرون يتعبون ، ولا يجدون من يقدرهم ، ويجاهدون ولا يجدون من يشجعهم ، ارفع نفسية هؤلاء فتربحهم .

مثل طفل يجتهد فى دروسه ويحصل على درجات عالية ، ولا يحس به أحد فى المنزل . فيضطر أن ينبههم بنفسه إلى إمتيازه ، ماأسعد هذا الطفل بمن يكتشف تفوقه ويشجعه ، دون أن يتكلم هو عن نفسه .

لا تظنوا أن التشجيع هو للصغار فقط ، فالكبار أيضاً يحتاجون إليه .

كما يحتاج خادمك إلى تشجيع ، ليستمر فى إخلاصه لك وفى تعبه وتفانيه ، كذلك يحتاج رئيسك إلى تشجيع ، ليستمر فى معاملته

الطيبة لك ولغيرك .

إن صاحب البيت تسعده كلمة تحية ، وتقدير يسمعها من بواب منزله .. فيقول إن هذا البواب هو أفضل بواب عرفه. لا من أجل تفانيه فى عمله ، بل لأجل الكلمة الطيبة والمديح والشكر ..

الناس يحتاجون دائماً إلى كلمة طيبة تسعدهم، فيحبون قائلها.

والإنسان الذى يملك لساناً عذباً حسن المنطق ، ووجهاً بشوشاً ، وحسن معاملة للناس ، يمكنه أن يربح الدنيا كلها ومن عليها ، إلا من يستسلمون تماماً لقيادة الشياطين ...

من أجل حاجة الناس إلى كلمة طيبة ، أعطاهم الله الإنجيل ومعناه " **بشارة مفرحة** " وبدأ الرب عظته على الجبل بالتطوبيات ، وكلمة "**طوبى**" معناها السعادة والبركة معاً .. وكان الرب **يشجع** باستمرار حتى أنه مدح الزرع الذى انتج ثلاثين فقط، وقال إنه زرع جيد كالذى أتى بستين ومائة ...

إن الإنسان الحكيم ، هو شخص لطيف ، يشجع الناس ولا يدينهم ، لذلك فهو يربحهم .

السيد المسيح ما كان يدين بل يشجع ، مع أن جميع خطايا الناس .. الخفيات والظاهرات .. كانت مكشوفة أمامه ومعروفة ، حتى مشاعرِ القلب ، وحتى الأفكار والنيات والظنون .

فإن كان وهو الذى يعرف كل الخطايا وكل الخفايا ، ويعرفها عن يقين ، لا يوبخ أحداً ، فكيف بنا نحن الذين لا نعرف الحقيقة تماماً! وربما ما لدينا من إنتقادات فيه الكثير من الظن أو الشك أو الظلم ، وقد نحكم على الناس ظلماً ، فيكرهوننا ، ولا نربحهم .

وحتى إن وجد فى الناس خطأ يقينى ، فبالكلمة الطيبة نعالجه ونربحهم .. ما أجمل قول الكتاب " شجعوا صغار النفوس " (١تس٥: ١٤) .

الصغير شجعوه ، والكبير قدروه ووقروه ، والممتاز امدحوه ، والضعيف لا تحتقروه ..

والإنسان الحكيم الطيب ، رابح النفوس ، يوزع كلمات التشجيع والبركة على كل أحد .. والمعاملة الرقيقة يعامل بها الكل . وكما يقول الكتاب "باركوا ولا تلعنوا " (رو١٢: ١٤) .

خذوا هذا التدريب ونفذوه : حاولوا أن تكسبوا الناس .. اعطوا كل إنسان حقه فى الكرامة . اكرموا الكل . اكسبوهم فى محبتهم لكم ، لكى تقودهم إلى محبة الله .. أنظروا الخير الذى فى الناس وشجعوه . واكسبوهم بالتشجيع ، وأيضاً بالإتضاع .

اكسبوهم بالإتضاع :

الناس لا يحبون الشخص الذى يتعالى عليهم ، ويحدثهم من فوق ، كأنه فى مستوى أسمى من مستواهم ، بل يحبون الإنسان المتضع ، الذى لا يشعرهم بأنه أعلى منهم .

لذلك فى كسب الناس ، إياك من هذا التعالى الذى ينفر الناس ، ويبعدهم عنك .

فى عظاتك ابتعد عن أسلوب عرض المعلومات والتباهى بالمعرفة ، إنما ركز على ما يلزمهم فى حياتهم الروحية .

ولا تستخدم ألفاظاً أو تعبيرات لا يفهمونها ، بقصد أن تظهر أنك تفهم ما لا يفهمون ..!

إنما كن متضعاً فى أسلوبك بسيطاً فى تعبيرك ، تشرح أعمق المعانى فى أسهل الألفاظ . إياك أن تحول الدين إلى فلسفة . وتذكر قول القديس بولس الرسول " وأنا لما أتيت إليكم إيها الأخوة، أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة .. " (١كو٢: ١) . " وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع ، بل ببرهان الروح والقوة " (١كو٢: ٤) .

إنك فى خدمتك ، لست تبنى نفسك ، بما تقوله من كلام ، إنما

أنت تبنى الآخرين .

لذلك كن متواضعاً فى خدمتـك ، ولا تجعل هذه الخدمـة مجـالاً للذات ، فليس فى ذلك ربح للناس ...

والذين هدفهم **(الذات)** قد يجعلون مركز إهتمـامهم فـى عظـاتهم هو اللغـة أو المعلومـات ، وليـس التـاثير الروحـى ... أو قـد يكـون هدفهم هو إعجاب النـاس بكلامهم ، وليس قيادة الناس إلى التوبة .

كذلك فإن رابح النفوس الحكيم ، ليس واجبه فقط هو أن يربح المخدومين وإنما أيضاً أن يربح زملاءه فى الخدمة .

الخـادم المتواضـع ، لا يغطـى علـى غيره ، بـل يعطيـه فرصـة ليعمل هو أيضاً. وهو لا يكتسح غيره من الخـدام ، بـل يتذكـر قـول الرسول " مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة " (رو١٢: ١٠) .

وإذا كان فـى لقـاء لا يـأخذ الجلسـة كلهـا لحسـابه الخـاص ، بـل يعطى مجالاً لغيره لكى يتكلم . ولا يقاطعه ، ولا يحقـر رأيـه ، ولا يحاول أن يثبت أنه أعمق فكراً أو أكثر معرفة ، بل يمتدح ما يقولـه زملاؤه من الخدام – ولو كانوا تلاميذه .

وتكون له فضيلة حسن الإصغاء .

فيحبـه النـاس لإصغائـه .. وعندمـــا يتكلـم ، لا مـــانع أن يقـول "أعجبنى رأى فلان فى كذا . ومن النقط الجميلة ما قاله فلان ، وأنـا

أوافق فلانا على رأيه ، وقد استفدت كثيرا مما قاله فلان " ...

وهكذا يعجب الناس بطريقة كلامه ، كما يعجبون باصغائه .

والخادم الحكيم المتواضع ، لا يتجاهل أحداً ، ولا يستصغر أحداً ، بل يحترم الكل . فيحبه الناس فى تواضعه .

السيد المسيح تواضع فدخل بيت زكا العشار ، وأعطى مقاماً لمتى العشار بأن جعله رسولاً . ودخل بيوت الخطاة وسمح للمرأة الخاطئة أن تلمس قدميه وتمسحهما بشعرها . بل أعطى أهمية للأطفال أيضاً .

لذلك أحبه الكل ، وربح الكل . وقادهم بمحبته وتواضعه إلى الملكوت .

وداود النبى بعد إنتصاره على جليات ، وبعد تعيينه رئيساً على رجال الحرب ، أمكنه أن يكسب جميع الناس بسبب عدم تعاليه عليهم . وكانوا " يحبونه لأنه كان يخرج ويدخل أمامهم " (١صم١٨: ١٦) .

والخادم المتواضع الحكيم يربح الناس أيضاً بتنازله إلى ضعفاتهم ...

ومن أمثلة تنازل السيد المسيح لضعفات الناس ، أنه زار نيقوديموس ليلاً وسراً ، إذ كان نيقوديموس خائفاً من اليهود . فلم

يجبره الرب على إعلان صلته به مادام لم يكن قد وصل إلى إحتمال ذلك . وبهذا ربحه إليه ، وأعلن إنتماءه فيما بعد ...

تنازل الله أيضاً لضعف المجوس .

وكانوا يرصدون النجوم ، فأظهر لهم قوة سمائية فى هيئة نجم عجيب فى تحركاته وفى إتجاهه ، وفى سيره ووقوفه . وبهذا جذبهم إلى الإيمان . فلما آمنوا ، لم يرشدهم عن طريق نجم ، وإنما أوحى إليهم فى حلم (مت٢: ١٢) .

كذلك تنازل الله للبشرية كلها بتجسده وربحهم بذلك .

إن الذى يتنازل لضعف الناس يربحهم .. أما الذى يتعامل معهم من برجه العالى ، فلا يمكن أن يصل إلى قلوبهم ولا إلى أفكارهم .

لا تكن كالفيلسوف الذى لا يتكلم إلا بأسلوب معقد ، ولا يتنازل ليبسط معلوماته للناس ، فلا يجتمع حوله سوى نفر قليل من مريديه وحوارييه ومن يمكنهم فهمه .

ولا تكن كذلك الأديب الذى عاتبه أحدهم بقوله " لم لا تقول ما يُفهم " . فأجابه فى عظمة ، " ولم لا تفهم ما يُقال " .

احتمل قصر فهم الناس، وإن جادلوك فى تعليمك فلا تثر عليهم ولا تنتهرهم .

الخادم الحكيم المتواضع ، لا يحسب أن كلامه منزه عن الجدل

والنقاش والحوار . ولا يحاول أو يفرض رأيه على الناس . ولا يعتبر أن مناقشته فى كلامه إهانة له ، وإنما بكل محبة وبكل إتضاع يجيب . ولا يضيق صدره مطلقاً بأية معارضة لرأيه ، كما لو كانت كلماته عقائد !

إن فرض الرأى لا يقنع أحداً . وبالتالى لا يربح احداً . والذى يفرض رأيه فى أمور الخدمة ، ينفر الكل منه ...

والخادم الذى يعيش فى خدمته وفى تعامله مع زملائه أو مخدوميه ، بأسلوب الأمر والنهى ، وبأسلوب السلطة والإدارة ، لا يمكن أن يربح العاملين معه . فإما أن ينفر الكل منه ويصل إلى الإنفرادية فى العمل ، أو يتحول محيط الخدمة إلى مجال للصراعات التى تفقد الخدمة روحانيتها .

طريق الإقناع والتفاهم ، قد يكون أطول بكثير من طريق السلطة أو القوة ، ولكنه أكثر ثباتاً ، وأعمق تأثيراً .

وهو الأسلوب الروحى الذى يتسم بالوداعة والإتضاع ، وهو أيضاً أسلوب حكيم ، لأنه يؤدى إلى نتائج عملية سليمة ...

حتى إن كنت على حق بالتمام ، وغيرك على باطل بالتمام ، أصبر واحتمل ، حتى تقنع هذا الغير ، ولا تظن أنك بالعنف يمكن أن تتجاهله وتقضى على رأيه فى الخدمة .

الخادم الحكيم يربح الناس بالإحتمال ، وبطول الأناة وسعة الصدر ...

يحتمل في سبيل ربح الناس كل كلمة جارحة ، وكل صد . يحتمل رفض الناس له ، ويحتمل جدلهم ومناقشاتهم .. بل يحتمل تهكمهم أيضاً عليه من أجل الرب ، من أجل خلاص النفس لأنه إن لم يحتمل ، قد يخسر مواقف ، وقد تفشل خدمته ...!

الخادم المتواضع يربح أقل الناس فهماً ، وأكثرهم عناداً ، وذلك بكياسته ولباقته ، وعدم تعاليمه ، وعدم توبيخه للناس ، وحرصه على مشاعر الكل ...

أما الخادم غير الحكيم ، أو غير المتواضع ، أو الخادم الضيق الصدر ، فإنه لثقته بذكائه أو بعلمه أو بمركزه، قد لا تعجبه أفكار وتصرفات الناس . فيكثر من توبيخهم حتى يخسرهم . وينتهر هذا، وينتقد ذاك ، ويكلم ثالثاً بكلمة شديدة ، أو ينصح بأسلوب جارح ، أو بهزء وسخرية . ويعلق تعليقات قاسية على طريقة تفكير غيره ومدى فهمه . هكذا يخسر الكل ، لمقارنته في داخل قلبه بين ذكائه وضعف تفكيرهم .. !

كثيرون لهم عقول كبيرة ، وفي نفس الوقت لهم قلوب صغيرة ونفسيات أصغر ... !

ولذلك يفشلون فى الخدمة ، لا بسبب العقل أو المعرفة ، إنما بسبب القلب المحب لذاته ، وبسبب النفس التى تضيق بسرعة ، أو بسبب الأعصاب المتوترة . وفى كل ذلك لا تسعفهم عقولهم بحلول، لأن حالتهم النفسية لم تعطِ فرصة للعقل الكبير أن يتصرف . فقامت الأعصاب بقيادة الموقف .

لذلك نقدم نصيحة هامة وهى :

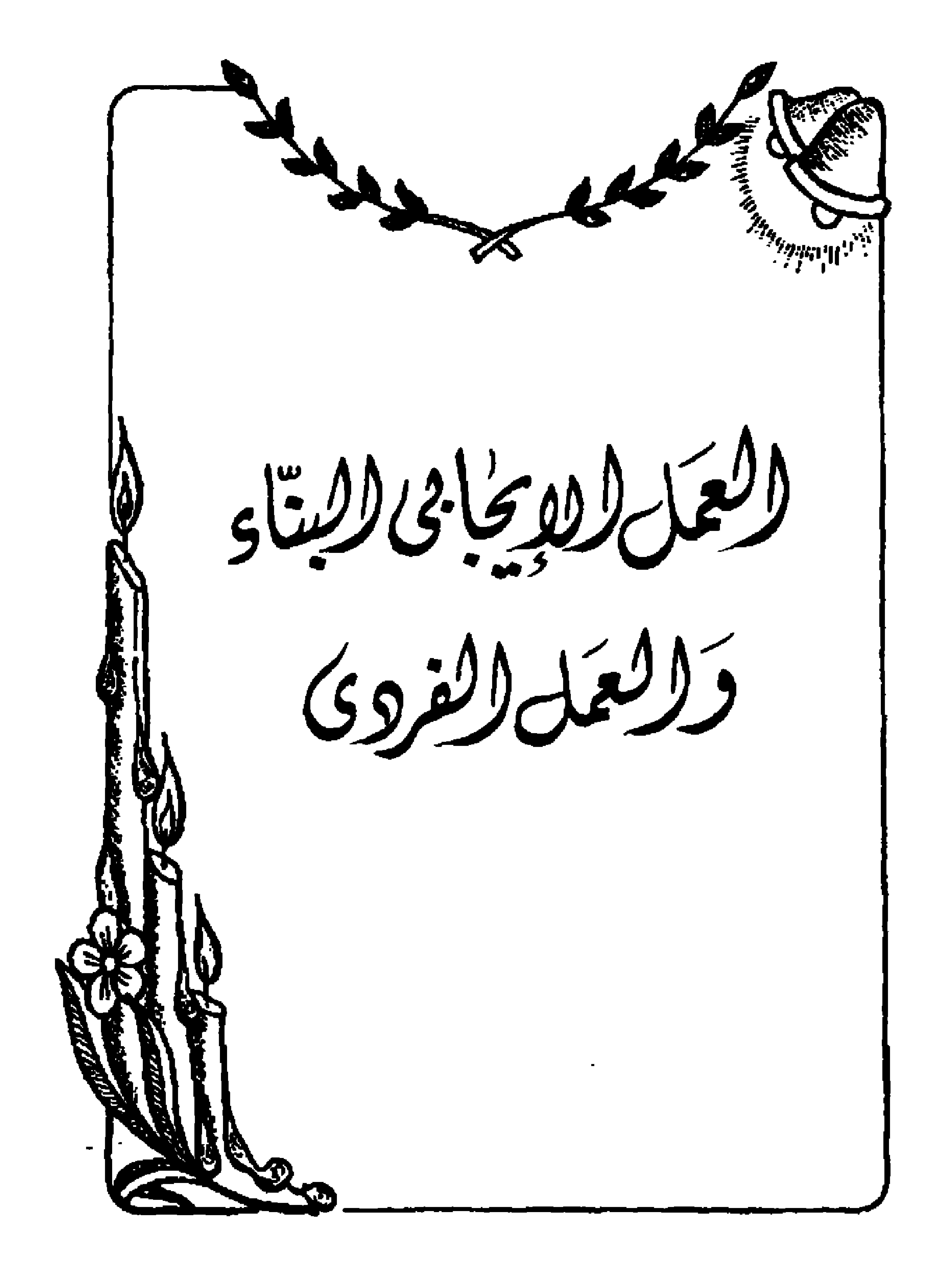
اربح الله فتربح الناس :

كن إنساناً روحياً ، قبل أن تدخل الخدمة لتعلم الناس الروحيات . اعرف الطريق الموصلة إلى الله ، لكى يمكنك أن تقود غيرك إليه. اربح الله أولاً ، حينئذ تربح نفسك ثابتة فى الله . وإن ربحت نفسك، ستربح الناس ، بالقدوة قبل التعليم . كما أنك ستعرف الأسلوب الحكيم ، الذى يمكنك به أن تكسب محبة الناس لك ، ومحبتهم لله ...

وإن كنت تربح الله ولم تربح نفسك فانتظر ولا تغامر بالخدمة، لئلا يعيروك قائلين : أيها الطبيب اشف نفسك أولاً !

حينما تخرج الخشبة من عينك ، ستبصر جيداً ، وتعرف كيف تخرج القذى من عين أخيك (مت٧: ٥) .





العمل الإيجابي البنّاء والعمل الفردي

العمَل الإيجابي البنّاء

في حياتنا الروحية وفي خدمتنا، علينا أن نهتم بأعمال البناء وبالأعمال الإيجابية. ولكن فيما نحن نبني حياتنا وحياة الناس، مشتركين مع الروح القدس في العمل ، **يتدخل الشيطان ليقدم لنا سلبيات لكي ننشغل بها عن عملنا الروحي البناء ...**

أما الإنسان الحكيم ، فهو الذي لا يسمح للسلبيات أن تشغله وتعطله عن عمله الإيجابي. لذلك فهو يسلك في عمل البناء باستمرار، ويبعد عن الأمور السلبية، التي تدخله في صراعات لا تنتهي، يفقد فيها روحياته، ويفقد خدمته، ويتعطل عمله البناء...

في الواقع أن السيد المسيح نفسه ، هو الذي وضع لنا قاعدة العمل الإيجابي وعدم الإنشغال بالسلبيات .

في فترة تجسده على الأرض ، حينما بدأ خدمته، كانت هناك أخطاء كثيرة جداً جداً في المجتمع الذي عمل فيه .. كانت هناك أخطاء تحيط بالقادة : الكتبة والفريسيين والصدوقيين والناموسيين

والكهنة وشيوخ الشعب... وهناك أخطاء أخرى تحيط بكل من هيرودس وبيلاطس ، وبالعشارين ورؤسائهم ، وبغير أولئك جميعاً.

ولم يضيع السيد المسيح وقته فى محاسبة كل هؤلاء ، إنما كان يجيبهم إن تعرضوا له . وانشغل بالعمل الإيجابى .

إنشغل بالوعظ والتعليم ، وبالإشفاق على المرضى وبالحزانى والمعوزين، وكان باستمرار "يجول يصنع خيراً ويشفى جميع المتسلط عليهم إبليس" (أع ١٠: ٣٨). "وكان يطوف كل الجليل ، يعلم في مجامعهم ، ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب " (مت٤: ٢٣). "ويقول قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالإنجيل " (مر١: ١٥) .

اشتغل وانشغل بتعليم الناس ، وبرعايتهم ...

" تحنن عليهم ، إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها " (مت٩: ٣٦) . كان يعظ على الجبل ، ووسط الزروع ، وفى الطريق ، وفى مواضع خلاء ، وفى البيوت ، وعلى شاطئ البحيرة، وفى كل مكان ، ويشفق على الناس ويهتم بهم، مع أنه " لم يكن له أين يسند رأسه " (لو٩: ٥٨) .

لم يضيع وقته فى مشكلة العشارين كيف يجمعون العشور بطريقة يظلمون فيها الناس ، ولا شغل وقته بما يفعله حنان وقيافا

ومجمع السنهدريم ... إنما كان شغله هو الشعب ، وكيف يعلمه ويرعاه . وهكذا قدّم لنا عملياً المثل الذى يقول :

بدلاً من أن تلعنوا الظلام ، أضيئوا شمعة ...

نعم . إن أضأنا شمعة ، ينقشع الظلام دون أن نحاربه ، ودون أن نعطل عملنا الإيجابى بسببه ...

ولكن لعل أحدكم يقول : ولكن السيد المسيح وبخ الكتبة والفريسيين ، وقال لهم : أيها القادة العميان . إنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون .. كيف تهربون من دينونة جهنم ؟!" (مت٢٣: ١٣، ٣٣) .. وكذلك قال للكهنة " إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل ثماره (مت٢١: ٤٣) . ووقف ضد الصدوقيين والناموسيين (مت٢٢). كما أنه طهر الهيكل، وقلب موائد الصيارفة . وقال " مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص " (مت٢١: ١٢، ١٣) . فكيف نقول إنه لم تشغله السلبيات ؟!

لقد فعل السيد المسيح ذلك فى الأسبوع الأخير، لكى يغير القيادات حتى لا تبقى كنيسته تحت سلطانها ...

كل ذلك حدث ما بين أحد الشعانين وما قبل الفصح بيومين

(مت٢٦: ٢) قبل الجلجثة بأيام قليلة . وكان تغيير القيادات الدينية لازماً قبل صلبه ...

أما طوال سنوات الخدمة ، فكان إهتمامه كله بالعمل الإيجابى فى رعاية الشعب ، وتكوين القيادات الجديدة التى يسلمها مفاتيح الملكوت. وخلال تلك السنوات لم يكن يحارب أولئك المنحرفين، بل هم الذين كانوا يحاربونه . فيرد عليهم ليشرح لهم الصواب هم والذين يسمعونه ...

وهناك مثل عجيب قدمه لنا السيد المسيح عن الملكوت ، وهو مثل الحنطة والزوان ، وما يحمل من تعليم روحى ...

قال إن " عدواً جاء وزرع زواناً فى وسط الحنطة ومضى .." (مت١٣: ٢٥) . فاقترح عبيد السيد أن يقلعوا الزوان من الحقل. فأجابهم " لا . لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه . دعوهما ينميان كلاهما معاً إلى الحصاد " (مت١٣: ٢٩). وفى يوم الحصاد يجمع الزوان ويحرق .

نعم يا أخوتى ، ليس عملكم أن تقلعوا الزوان ، لئلا تقلعوا حنطتكم معه ... عملكم هو أن تنموا كحنطة .

وعندما يأتى يوم الحصاد العظيم ، ينظر الرب إلى حقولكم فيجدها مملوءة حنطة . فيجمع منها ثلاثين وستين ومائة ، وتمتلئ

أهرلوه قمحاً .

هذا هو العمل الإيجابى النافع .. أما إذا شغلتم وقتكم بجمع الزوان وخلعه من الأرض ، فقد تتلفون أعصابكم ، وتضيعون روحياتكم ، وتقعون فى أخطاء لا تعد. كاولئك الذين باسم الإصلاح، استخدموا أسلوب الشتائم والإدانة والتشهير ، ووقعوا فى الغضب والنرفزة ، وفى الحقد والتحطيم، مع الصياح وعلو الصوت، وإعثار الآخرين بما يقولون ...

وإذا بهم فيما يخلعون الزوان ، صاروا هم زواناً ...

لأنه ما هى طبيعة الزوان إلا ما يفعلون ...! أما روحياتهم فضاعت فى غمرة الصراع . وخدمتهم توقفت وأعثرت . ولم يقدموا لا قدوة ولا إصلاحاً .. واختبروا واختبر الناس معهم حكمة ما قاله السيد المسيح :

" لا . لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه " .

إن كان الرب قد قال هذا عن الزوان الحقيقى ، فماذا يقال إذن عن الذين يحسبون الحنطة زواناً، لضعف رؤيتهم ، فيتحمسون لخلع الحنطة ، ويبقى الزوان وحده في الحقل !! ولا يجد صاحب الحقل شيئاً قد بقى له ليحصده ويضمه إلى مخازنه ...

كونوا إذن حنطة . ولحذروا من الإنشغال بجمع الزوان .

إن الشغوفين بخلع الزوان يفقدون سلامهم القلبى ، ويفقدون التواضع والوداعة ، بل يفقدون أيضاً سلامهم مع الناس . وباستمرار تجدهم غاضبين متضايقين ، ينفثون غضبهم فى الكل . ولا يتحدثون إلا عن الأخطاء والنقاط السوداء . ويصورون الحال قاتماً كئيباً ، ويتحولون إلى شرر من النار يحرق كل ما يصادفه فى قسوة وعنف ... وفيما يفكرون فى خطايا الآخرين ، ينسون خطايا أنفسهم !!

أما أنت يا رجل الله ، فانشغل ببناء الملكوت فى وداعة وهدوء ، وفى محبة للكل ، وبتواضع قلب .

عملك الإيجابى كخادم هو أن تبنى . وكما قال القديس بولس الرسول " ليكن كل شئ للبنيان " (١كو١٤: ٢٦) . واعرف أن الذى يبنى، دائماً يصعد إلى فوق . أما الذى يهدم ، فهو دائماً ينزل أو يهبط إلى أسفل ...

واحذر وأنت تخلع الزوان من الأرض، أن تقلع الحنطة التى فيك ، والتى فى سامعيك ...

ازرع الحنطة فى كل مكان ، واحسن انتقاء ما تلقيه من بذار ، ازرع الحب فى كل قلب ، وقل كلمة عزاء ورجاء ، وكلمة منفعة . حتى الأشرار ، حاول أن تكسبهم بالحب . وليس معنى هذا أن

تخضع للباطل أو تجامله ، فتنتقل من الضد إلى الضد .

ولا تبدد طاقاتك فى السلبيات ، فإن الشيطان مستعد أن يقدم لك سلبيات فى كل يوم، ليشغلك بها !!

هو مستعد أن يقدم لك شائعات وأخباراً فى كل يوم، ومشاكل وصراعات ومضايقات . ويكشف لك اسراراً وأفكاراً، إن أعطيتها مكاناً فى ذهنك تتعب أعصابك ونفسيتك .. قل لنفسك : ما شأنى بكل هذا؟! أنا وقتى مكرس لخدمتى . لا يجوز لى أن آخذ وقت الله، لكى أقدمه لمناقشة السلبيات ...

احب أن أضرب لك مثلاً بما حدث فى تاريخنا الحديث من أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين .

كانت هناك نقائص شديدة فى الخدمة ، بل لم يكن هناك وعاظ فى الكنائس ولا كهنة متعلمون . ولذلك بدأت الطوائف تتأسس وتنمو على حساب الكنيسة . وكثرت لذلك الإنشقاقات والصراعات الداخلية .

البعض استخدم أسلوب الشتائم والإنتقادات والتجريح. والبعض دخل مع الكنيسة فى صراع وصل إلى المحاكم وانفقت أموال طائلة فى القضايا ... والبعض ظل يبكى على سوء ذلك الحال ...

وكل ذلك لم يجد نفعاً . لا انتفعت الكنيسة بالإنتقادات والتجريح،

ولا بالإنقسام والقضايا ، ولا بالبكاء ... فكيف تم الإصلاح إذن ؟

تم الإصلاح عن طريق العمل الإيجابى الذى آمن به حبيب جرجس قائد الخدمة فى القرن العشرين ...

لم ينشغل بكل أخطاء زمانه . وإنما بدأ يعمل : حفر أساساً ووضع فيه حجرين هما الإكليريكية ومدارس الأحد . وظل يبنى . وأخذ البناء يرتفع . وتكوّن عدد كبير من الخدام يعملون فى الوعظ والتعليم ، فى الكنائس وفى الجمعيات وفى مدارس الأحد وفى القرى . وهو يرتل فى قلبه للرب قائلاً " وأما شعبك فليكن بالبركة ألوف ألوف وربوات ربوات يصنعون مشيئتك " .

إنه لم ينتقد النقص ، إنما عمل على تزويد الكنيسة بالإحتياجات التى تنقصها ...

وجد الكنيسة ينقصها الوعظ ، حتى أن كثيراً من الآباء الكهنة كانوا يقرأون من كتب الوعظ وليست لهم قدرة على الوعظ ولا كفاءة، فلم ينتقد ذلك ولم يملأ الدنيا بكاء على الكنيسة ، وإنما بدأ في إعداد الوعاظ والخدام. واستطاع أن يجعل طلبة الإكليريكية ينشئون جمعيات للوعظ أمكنها أن تؤسس ٨٤ فرعاً فى القاهرة والجيزة وضواحيها .

ووجد أن الأطفال والشبان لا يجدون من يعلمهم ، فلم ينتقد

الكنيسة على ذلك ولم يجرحها . وإنما أنشأ مدارس الأحد التى انتشرت فى كل مكان . وبدأ يؤلف الكتب لتدريسها فى المدارس العامة ، وفى مدارس التربية الكنسية .

ولما وجد الترانيم البروتستانتية بدأت تزحف وتجد مكانها فى بعض الإجتماعات ، أخذ ينظم تراتيل على ألحان الكنيسة . وهكذا خدم فى كل مجال .

والآن نسى الناس كل السلبيات التى كانت موجودة . وثبت فى ذاكرتهم العمل الإيجابى البناء الذى قام به حبيب جرجس ، وقدم به درساً .

وهنا أذكر عبارة وردت فى قصة الخليقة :

قيل " كانت الأرض خربة وخالية ، وعلى وجه الغمر ظلمة " (تك١: ٢) . فما الذى فعله الرب ؟

لم يقل الكتاب إن الله لعن الظلمة والخراب . إنما قيل " إن روح الله كان يرف على وجه المياه " .

ولم يقل الله : لا تكن ظلمة . إنما " قال الله فليكن نور ، فكان نور " (تك١: ٣) .

ورأى الله النور أنه حسن . وفصل الله بين النور والظلمة " (تك١: ٤) .

والله يدعونا أن نكون نوراً . بل قال " أنتم نور العالم " (مت٥: ١٤) . وإن صرنا نوراً ، سوف ينقشع الظلام من تلقاء ذاته ، دون أن نلعن الظلام .

العمل البناء هو العمل الباقى لنا ولغيرنا . والعمل الإيجابى كله ربح ، لا خسارة فيه لنا ولا لغيرنا ...

أقول هذا لكم ، لأنى رأيت فى طريق الحياة أشخاصاً ينظرون بعيون لا ترى إلا السواد . وأما النقاط البيضاء فلا يرونها ، ولا يتحدثون عنها . هم يبحثون عن الظلام ، لكى يركزوا عليه وينتقدونه .

وفى كل ذلك يفقدون بشاشتهم ووداعتهم وسلامهم الداخلى . وحديثهم عن الظلام يجعل سامعيهم يفقدون سلامهم أيضاً ، ويفقدون فرحهم ، ولا يرون الأرض إلا خربة وخالية . وعيون هؤلاء الناقدين لا ترى روح الله يرف على وجه المياه ، ولا تسمع صوت الله يقول ": ليكن نور " فكان نور ... حقاً ، ما أجمل قول الكتاب :

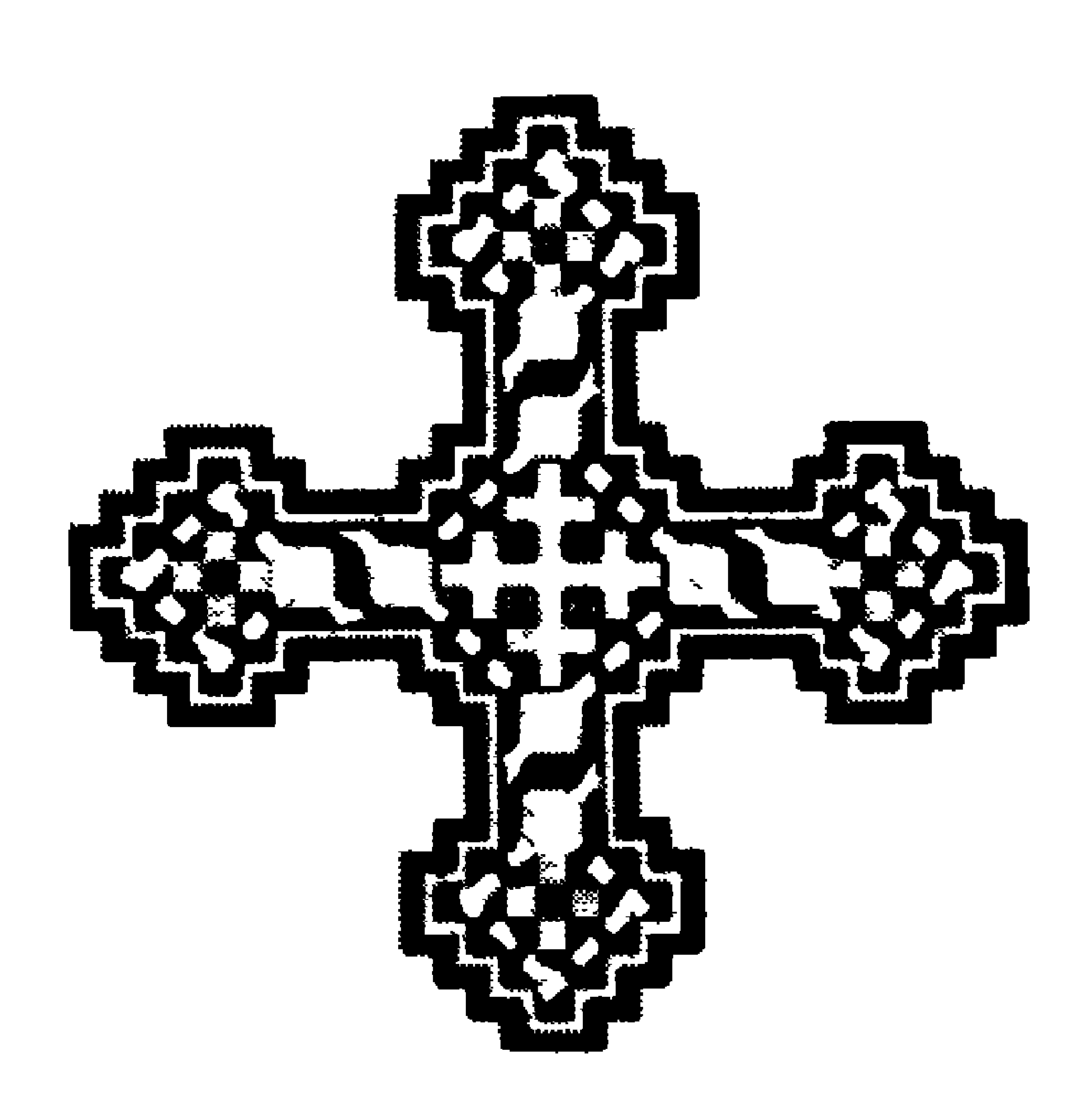
"ما أجمل قدمىّ المبشر بالخير، المخبر بالخلاص" (أش٥٢: ٧) (نا ١: ١٥) .

لقد بدأ العهد الجديد بملائكة يبشرون بالخلاص ويحملون بشارة مفرحة ، يقول فيها الملاك " أبشركم بفرح عظيم يكون لكم ولجميع

الشعب " (لو ٢: ١٠) .

ليتكم إذن في خدمتكم تحملون للناس خبراً مفرحاً . إن الشعب له من آلامه ما يكفيه ، ويحتاج إلى كلمة عزاء تفرحه وتعطيه رجاء . افتحوا له إذن طاقات من نور . وإن لم تجدوا نوراً على الإطلاق، حاشا ... فكونوا أنتم نوراً له . كونوا أصحاب العمل الإيجابي البناء. وقدموا للشعب بعملكم وخدمتكم ما يفرحه .

كونوا كالحمامة التي حملت لنوح ورقة زيتون خضراء . فعلم أن المياه قد قلت عن الأرض (تك٨: ١١) .



العَمل الفَردى

لعله من أروع الأمثلة على أهمية العمل الفردى فى الخدمة :

أن الله نفسه - على الرغم من رعايته للعالم كله - اهتم بالعمل الفردى .

فى العهد القديم :

الله يرسل ملاكه إلى الجب الذى أُلقى فيه دانيال ، لكى يسدّ أفواه الأسود فلا تؤذيه (دا٦: ٢٢) . وكذلك يسير مع الثلاثة فتية فى أتون النار ، فلا تكون للنار قوة لإحراقهم (دا٣: ٢٥- ٣١) .

ويفتقد إيليا ، وهو خائف ، وهارب من الملكة إيزابيل ، ويسأل عنه قائلاً له بصوت منخفض خفيف " مالك ههنا يا إيليا ؟" (١مل١٩: ١٢، ١٣) . وكذلك يظهر ليعقوب وهو خائف وهارب من وجه أخيه عيسو، لكيما يعزى قلبه بكلمات المحبة والمعونة قائلاً له : "ها أنا معك، وأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض" (تك٢٨: ١٥) .

وبنفس العمل الفردى قام الرب بعملية إنقاذ ، لكى ينجى سارة

من الملك أبيمالك ، وظهر له فى حلم ، وحذره وأنذره ، وقال له "وأنا أيضاً أمسكتك عن أن تخطئ إلىّ ، لذلك لم أدعك تمسها " (تك٢٠: ٣- ٦) .

وكما كان للرب عمل فردى مع كلٍ من هؤلاء لإنقاذه ، أو منحه السلام ، أو لإنقاذ الغير منه ، كذلك كان للرب عمل فردى فى دعوة البعض إلى خدمته .

فهكذا دعا الله أبانا إبرام أبا الآباء والأنبياء ، ليذهب إلى الجبل الذى يريه إياه ، وباركه وجعله بركة ، وقال له أيضاً " وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض " (تك١٢: ١- ٣) .

ودعا الرب موسى من وسط العليقة المشتعلة بالنار ، ولما اعتذر عن ذلك بأنه ثقيل الفم واللسان وليس صاحب كلام ، منحه أخاه هرون لكى يكون له فماً . وقال له " تكلمه وتضع الكلمات فى فمه . وأنا أكون مع فمك ومع فمه . وأعلمكما ماذا تصنعان " (خر٣: ٤) (خر٤: ١٠- ١٦) .

ودعا الرب أرميا أيضاً " ولما اعتذر بأنه صغير السن ، قال له " هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة ، وعمود جديد ، وأسوار نحاس على كل الأرض ... فيحاربونك ولا يقدرون عليك ، لأنى أنا معك – يقول الرب لأنقذك " (أر١: ٦- ١٩) .

ودعا الرب سائر الأنبياء ، وكان معهم . وكان لـه عمل فـردى مع كل منهم .

وفى قصة يونان النبى ، كان للرب عمل فردى معه ، ومع أهل السفينة . وعمل فردى آخر مع مدينة نينوى .

وهكذا فى تلك القصة ، كان العمل الفردى مع يونان هو قيادته إلى الطاعة وإنقاذه من جوف الحوت ، وإقناعه وتخليصه من فمه .

وكان عملـه مـع أهل السفينة ، لقيادتهم إلـى الإيمـان ، وتقديم ذبيحة له ...

وعملـه مـع أهل نينـوى هو لقيادتهم إلـى التوبـة والإنسـحاق ، والإيمان به أيضاً ، باعتبارهم من الأمم ... وهنـا نلاحظ ملاحظـة هامة وهى :

عمل الله مع مدينة نينوى يعتبر عملاً فردياً ، إذا قيست بكل ما فى العالم من مدن .

ونفس الوضع يعتبر عمـل اللـه مـع شـعب إسـرائيل فـى العهد القديم: من جهـة قيادتـه لهذا الشـعب ، وإرسـال الأنبيـاء والشـريعة والعهود له ، وكذلك ما أجراه معه من الآيات ، وما أوقعه عليه من العقوبات ... إنه مجرد شعب واحد ، إذا قيس بالشعوب العديدة فـى العالم كله . لاشك أن عمل الله معه ، يعتبر بوجـه المقارنـة عمـلاً

فردياً .

والأمثلة عن العمل الفردى فى العهد القديم عديدة جداً ، من الصعب إيرادها الآن . ننتقل إلى نقطة أخرى وهى :

العمل الفردى للسيد المسيح :

كانت للسيد المسيح رسالة وسط الجموع والآلاف العديدة من الناس ، مثلما حدث فى معجزة الخمس خبزات والسمكتين ، حيث كان الرجال فقط خمسة آلاف غير النساء والأطفال (مت١٤: ٢١)، وقد قيل فى أكثر من موضع أن الجموع كانت تزحمه (لو٨: ٤٢، ٤٥) (مر٥: ٢٤: ٣١) . وحدث مثل ذلك أيضاً فى قصة شفاء المفلوج الذى حمله أربعة (مر٢: ٢- ٤) .

وعلى الرغم من كل ذلك ، كان للسيد المسيح عمل فردى .

إذ لم يشأ أن يضيع الفرد فى زحمة الجموع . ومثالنا عمله مع زكا العشار .

كان الجمع يزحم السيد المسيح . ولم يقدر زكا أن يراه بسبب الجمع، فصعد إلى جميزة . ووسط كل تلك الجموع والزحام، وقف السيد ونادى زكا باسمه ، ودخل بيته " وحصل خلاص لهذا البيت، إذ هو أيضاً إبن إبراهيم " (لو١٩: ٩) . وتاب زكا ، واعترف

بأخطائه ، ورد ما قد ظلم فيه الغير أربعة أضعاف .

كذلك كان للسيد المسيح عمل فردى مع نيقوديموس .

قابله نيقوديموس ليلاً ، وحدثه المسيح عن الميلاد من الماء والروح وعن إبن الإنسان الذى هو فى السماء، وعن الخلاص (يو٣: ١ – ٢١) . وأثمر هذا اللقاء فآمن نيقوديموس ، بل إنه اشترك مع يوسف الرامى فى تكفين جسد المسيح (يو٢٠: ٣٨ – ٤٠) . ويذكر التاريخ إنه فيما بعد صار أسقفاً ...

وكان للسيد أيضاً عمل فردى مع المرأة السامرية .

قابلها عند البئر ، وتحدث معها عن الماء الحى، وعن السجود لله بالروح والحق ، وقادها إلى الإعتراف والتوبة وإلى الإيمان به . وقد تعجب التلاميذ من أنه كان يتكلم مع إمرأة (يو٤: ٢٧) . ولكن حديثه معها كان له ثمرة ، ليس فقط فى حياتها الخاصة فى إيمانها وتوبتها ، بل أكثر من هذا إنها ذهبت لتبشر أهل السامرة ، بأن هذا هو المسيح (يو٤: ٢٨– ٣٠) .

والإصحاح ١٥ من إنجيل لوقا ، كله عن أعمال فردية لأجل التوبة .

سواء عن الخروف الضال ، الذى ذهب الراعى الصالح ليبحث عنه تاركاً التسعة والتسعين ، حتى وجده وحمله على منكبيه فرحاً،

أو البحث عن الدرهم المفقود ، أو الفرح برجوع الإبن الضال وإقامة وليمة له ، أو العمل الفردى لإقناع أخيه الكبير الذى كان ساخطاً على الفرح برجوعه .

ومن الأعمال الفردية أيضاً التى لها دلالتها :

عمل السيد المسيح مع مرثا ، حيث قال لها " أنتِ تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ، ولكن الحاجة إلى واحد " (لو١٠: ٤١، ٤٢) .

وكذلك عمله مع المولود أعمى ، بعد شفائه له ، وقد طرده اليهود خارج المجمع . فظهر له الرب ، ودعاه إلى الإيمان به ، وأعلن له أنه إبن الله : فقال الرجل " أؤمن يا سيد ، وسجد له " (يو٩: ٣٥- ٣٨) .

كذلك حديثه مع نثنائيل ، لما قال له " قبل أن دعاك فيلبس ، وأنت تحت التينة - رأيتك . فآمن نثنائيل وقال له "يا معلم ، أنت إبن الله" (يو٢: ٤٧- ٥١) .

وما أكثر الأعمال الفردية التى قام بها السيد المسيح ، سواء مع تلاميذه الإثنى عشر ، أو مع بطرس ويعقوب ويوحنا، أو حتى فى قصة التجلى مع موسى وإيليا (مر٩: ٢- ٨). ومع أفراد كثيرين آخرين .

ولا ننسى الأعمال الفردية التى قام بها السيد المسيح بعد القيامة :

حيث ظهر لتلميذى عمواس " وابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب " (لو ٢٤: ٢٧). كذلك ظهوره لتوما، وكيف نجاه من شكه ، وأعطاه الفرصة أن يلمس جراحه ، وقال له " لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً" (يو ٢٠: ٢٦- ٢٩) . وبنفس الوضع ظهر لمريم المجدلية ، التى ثلاث مرات تقول " أخذوا سيدى ولست أدرى أين وضعوه " (يو ٢٠: ٢، ١٣، ١٥) . فبكلامه معها آمنت بقيامته ، بل أرسلها لتبشر التلاميذ، مع مريم الأخرى (مت٢٨) .

وظهر الرب بعد القيامة للتلاميذ ، وأقنعهم بأنه ليس مجرد روح أو شبح ، فالروح ليس له لحم وعظام ، وأراهم يديه ورجليه ، وأكل قدامهم (لو ٢٤: ٣٦ - ٤٣) . بل ظهر لهم أيضاً ومنحهم سرّ الكهنوت . نفخ فى وجوههم ، وقال لهم : اقبلوا الروح القدس . من غفرتم له خطاياه غفرت له ، ومن أمسكتموها عليه أمسكت " (يو ٢٠: ٢٢، ٢٣) .

بل عمل أيضاً عملاً فردياً مع بطرس ، الذى كان حزيناً جداً على إنكاره للمسيح قبل صلبه . فعزاه وقال له " ارعَ غنمى ... ارعَ خرافى " (يو ٢١: ١٥- ١٧) .

ومن أعظم الأعمال الفردية التى عملها الرب بعد صعوده :

دعوته لشاول الطرسوسى :

ظهر له فى طريق دمشق ، وعاتبه قائلاً " شاول شاول لماذا تضطهدنى ؟! (أع٩: ٤) . وقاده إلى الإيمان ، وأرسله إلى حنانيا فعمده (أع٢٢: ١٦) . واختاره رسولاً للأمم (أع٩: ١٥- ١٨) . وظهر له مرة أخرى فى رؤيا الليل وهو فى كورنثوس وقال له "لا تخف، بل تكلم ولا تسكت. لأنى أنا معك، ولا يقع بك أحد ليؤذيك . لأن لى شعباً كثيراً فى هذه المدينة " (أع١٨: ٩، ١٠) . كما أرسله مرة وقال له " اذهب فإنى مرسلك بعيداً إلى الأمم " (أع٢٢: ٢١) .

كذلك ظهر له مرة أخرى وقال له " ثق يا بولس ، لأنك كما شهدت بما لى فى أورشليم، هكذا ينبغى أن تشهد فى رومية أيضاً " (أع٢٣: ١١) . وأطاع القديس بولس ، وذهب إلى رومية ليؤسس كنيستها ' وأقام سنتين كاملتين فى بيت استأجره لنفسه . وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه، كارزاً بملكوت الله ، ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح ، بكل مجاهرة بلا مانع " (أع٢٨: ٣٠، ٣١) .

ولعل من اعظم الأعمال الفردية التى قام بها السيد المسيح :

عمله مع اللص اليمين

كيف كان تأثيره على ذلك اللص المصلوب معه ، حتى آمن وقال له " اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك " فأجابه الرب "الحق أقول لك اليوم تكون معى فى الفردوس " (لو٢٣: ٤٢، ٤٣). وأدخله معه فعلاً إلى الفردوس .

أعمال فردية للرسل :

إن الرسل كرزوا فى جميع الأمم وتلمذوهم وعمدوهم (مت٢٨: ٩)، بل كرزوا بالإنجيل للخليقة كلها (مر١٦: ١٥). ومع ذلك كانت لهم أعمال فردية :

مثال ذلك عمل بولس وسيلا مع سجان فيلبى ، فى دعوته إلى الإيمان " حيث كلماه وجميع من فى بيته بكلمة الرب ... واعتمد فى الحال هو والذين له أجمعون " (أع١٦: ٣١- ٣٣) . كذلك عمل بولس مع ديونسيوس الأريوباغى (أع١٧: ٣٤) الذى صار فيما بعد أسقفاً لأثينا ... كذلك عمله مع تلاميذ كثيرين صاروا من أعوانه فى الخدمة فيما بعد ...

ومن الأمثلة الجميلة فى العمل الفردى :

عمل فيلبس مع الخصى الحبشى

رأى ذلك الرجل فى مركبته يقرأ سفر أشعياء ، فسأله " أتفهم ما تقرأ ثم بدأ يشرح له ، وبشره باسم يسوع . وانتهى ذلك اللقاء العابر ، بأن اقبلا على ماء ، فعمده ، وذهب ذلك الخصى فى طريقه فرحا (أع٨: ٢٧- ٣٩).

كذلك العمل الفردى الذى قام به بولس الرسول نحو ليديا بائعة الإرجوان التى تأثرت بكلامه وآمنت واعتمدت . وأستجاب بولس الرسول لطلبتها ، فدخل بيتها (أع١٦: ١٥) . وقيل إن بيتها صار كنيسة للرب فى ثياترا .

ومن الأمثلة التاريخية للعمل الفردى ، عمل مارمرقس مع أنيانوس .

وكيف أنه انتهز كلمة عن الله التى لفظها ، فبشره وعمده ، وصار أول من آمن على يديه فى الأسكندرية ، وصار بيته كنيسة. بل أصبح أسقفاً ، وأول خليفة لمارمرقس .

العمل الفردى (٢)

الآباء الرسل كان لهم عمل فردى ، حتى فى رسائلهم :

مثال ذلك رسالة القديس بولس مع فليمون . فقد كان فيها عمل فردى مع فليمون ، وعمل آخر مع عبده أنسيموس الذى صيره القديس بولس أخاً وخادماً نافعاً له فى الخدمة ، وتعهد بأن يوفى عنه ديونه .. (فل ١٦ - ١٨) .

كذلك رسالته أيضاً إلى تيموثاوس . بالإضافة إلى ما ورد فيها عن حياته وسلوكياته ، بل عن صحته الجسدية أيضاً ، إذ يقول له "لا تكن بعد شريب ماء، بل خذ قليلاً من الخمر لأجل معدتك وأسقامك الكثيرة " (١تى٥: ٢٣) .

والأمثلة كثيرة عن العمل الفردى فى رسائل الآباء الرسل .

ميزات العمل الفردى :

العمل الفردى يتميز عن العمل الجماعى بعدة أمور ، نذكر منها :

١ - فيه نوع من التركيز والتخصيص والفائدة المباشرة :

ففى العظـة التى تلقى فى الكنيسة أو فى أى إجتماع ، يتكلم الخادم كلاماً عاماً لجميع الناس . ولكنه فى العمل الفردى يكلم إنساناً بالذات يمس الحياة الخاصة لهذا الإنسان ، والظروف التى يمر بها . إنها خدمة مركزة ، ونتيجتها واضحة .

فما معنى عبارة " نتيجتها واضحة " ؟ .

أى أنه فى العظة العامة ، لا يعرف الواعظ ماذا كان تأثير كلامه ، وهل أتى بنتيجة أم لا . أما فى العمل الفردى ، فيرى النتيجة أمامه . إنه يكلم شخصاً يرى أمامه مدى استجابته أو رفضه، ومدى تفاعله مع الكلام الذى يسمعه ، وإن كان له إعتراض يبديه ...

٢ - العمل الفردى يتميز أيضاً بمكافأة خاصة ، لأنه عمل فى الخفاء .

العظات العامة ، والفصول الكبيرة فى التربية الكنسية ، والخدمة فى القرى ، لها وضوح وهى ظاهرة أمام الكل . وقد يوضع جدول لها يبين إسم الخادم وخدمته وموعدها . أما العمل الفردى ، فهو فى الخفاء ، لا يحس به أحد ، ولا ينال إعجاباً من جمهور . ولكن كما قال السيد الرب " ابوك الذى يرى فى الخفاء ، هو يجازيك علانية " (مت ٦: ٤، ٦) .

٣ – كذلك العمل الفردى ، يحمل أيضاً تواضعاً فى الخدمة .

هناك أشخاص لا يخدمون إلا على مستوى معين !! إما فى إجتماع كبير ، أو كنيسة كبيرة ، أو مكان لـه شهرته ... وإلا فإنهم يعتذرون عن الخدمة ..! أما العمل الفردى فإن فيه إتضاعاً ، لأن الخادم يكلم فيه شخصاً واحداً ، فى بعد عن الشهرة ، فهى خدمة تعطى ، وفيما يبدو لا تأخذ شيئاً ...

٤ – العمل الفردى يتميز بحب أكثر ، وبإهتمام أكثر .

فيه عنصر المبادرة وعنصر الإهتمام . ففى العظات العامة يذهب الناس إلى الكنيسة . أما فى العمل الفردى ، فالخادم هو الذى يذهب إلى المخدومين ، وليسوا هم الذين يأتون إليه . وحتى إن أتى بعضهم ، فإنه يجد إهتماماً خاصاً .

العمل الفردى هو حب للناس . هو إدراك لقيمة النفس الواحدة.

هو إدراك عملي لقيمة النفس التى مات المسيح لأجلها . وكان ثمنها هو دم المسيح . هو إنتشال لهذه النفس من النار ، كما قال الرسول " وخلصوا البعض بالخوف ، مختطفين من النار " (يه٢٣). وكما قال ملاك الرب عن يهوشع وهو ينقذه من الشيطان الذى يقاومه " أفليس هذا شعلة منتشلة من النار " (زك٣: ٢) . وما

أعمق قول معلمنا يعقوب الرسول " من ردّ خاطئاً عن ضلال طريقه ، يخلص نفساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا " (يع٥: ٢٠) .

٥ – وربما عمل فردى تكون له خطورته ، ويتحول إلى عمل عام كبير .

مثل عمل السيد المسيح مع شاول الطرسوسى ، فى عتابه له وهدايته ، وفى دعوته أيضاً . وكيف أنه بهذا العمل الفردى ، تحول شاول إلى طاقة جبارة فى العمل الكرازى ، وتعب فى الخدمة أكثر من جميع الرسل (١كو١٥: ١٠) .

فما أدراك . ربما هذا الفرد الذى تخدمه يصير شيئاً كبيراً فيما بعد ...

٦ – أيضاً فى العمل الفردى ، تأخذ خبرة روحية عميقة .

خبرة لا تستطيع أن تحصل عليها فى العمل العام . فأنت تعرف خلالها طبيعة النفس البشرية وحروبها ، وما تقف أمامها من عوائق عملية فى طريق الفضيلة . وترى الفارق بين التعليم النظرى الذى يقال للجماعات، وبين شخص تكلمه فيرد عليك ، وتأخذ وتعطى معه فى الحديث . وتشرح له الفضيلة ، فيشرح لك العقبات العملية التى تقف أمام التطبيق ...

٧ – لذلك فالعمل الفردى يتميز بالناحية العملية أكثر من العمل الجماعى .

والإنسان الذى له خبرة سابقة أو حالية فى العمل الفردى ، يستطيع فى عمله الجماعى أو فى العظات العامة أن يكون أكثر فعالية ، وأن يمس كلامه مشاعر الناس ، ويكون عملياً فى تعليمه يتحدث عن الواقع الذى يعيشه السامعون ، ولا يقول كلاماً نظرياً .

وفى خدمة الكهنوت ، يوجد العمل الفردى والعمل الجماعى ، كلاهما معاً :

العمل الجماعى فى الصلاة العامة ، وفى العظات العامة والخدمات العامة . أما العمل الفردى ففى الإعترافات ، وفى حل مشاكل الناس ، وفى الزيارات والإفتقاد . إنه يتعامل مع الكل ، ومع كل فرد على حدة .

ومن الجائز أن العمل الفردى لا يكون مع فرد واحد . من الجائز أن يكون مع إثنين معاً ، يصلحهما أو يدبر حياتهما المشتركة ، أو يوفق خدمتهما . أو يكون العمل الفردى مع أسرة كاملة ، ولكن لها طابعها الفردى بالنسبة إلى باقى الأسرات . أو مع مجموعة من الناس ، مع مجلس جمعية مثلاً ...

مجالات العمل الفردى :

من الممكن أن يوجد عمل فردى فى مجال الأسرة .

مثلما يقول الكتاب " أما أنا وبيتى فنعبد الرب" (يش٢٤: ١٥)... ومثلما قال الرب عن وصاياه " قصَّها على أولادك ، وتكلم بها حين تجلس فى بيتك " (تث٦: ٧) . فهل أنت لك خدمة روحية وسط أفراد أسرتك ؟ أم علاقتك بهم مجرد علاقة إجتماعية عائلية ! أم علاقة إحتكاكات أحياناً !! هل افتكرت أن توصل أخاك الصغير إلى الله؟ أو أن تقود أحد أقربائك إلى حياة التوبة ، أو تعلمه العقيدة السليمة ؟ إنه عمل فردى .

يمكن أن يكون العمل الفردى فى مجال الجيران أو المعارف .

إن كنت شخصاً روحياً ، ولك جيران أو أصدقاء ، فهل استفادوا من روحياتك؟ هل تمر حياتك الروحية مروراً عابراً على الآخرين، دون أن تترك فيهم أثراً ، ويكون وجودك وسطهم بلا ثمر ؟! هل كل أحاديثك معهم خالية من الله ؟ أم تراك تتحاشى ذلك وتخجل منه ، لئلا يتهموك بأنك متدين ؟!

ونفس الكلام يقال عن زملائك فى العمل أو فى الدراسة .

وأيضاً عن زملائك فى النادى ، أو فى أى نشاط اجتماعى . ما هى خدمتك الفردية وسط كل هؤلاء ؟ هل استطعت أن تجذب أحداً

إلى طريق الله ، أو حتى أن تدعوه إلى اجتماع فى الكنيسة ؟

يعجبنى فيلبس ، أنه وهو سائر فى الطريق ، كان له عمل عميق مع الخصى الحبشى .

قدّم له الإيمان وعمده، وذهب فى طريقه فرحاً (أع٨: ٣٨، ٣٩) .

وأنت كم من الناس قد قابلتهم فى طريق الحياة ، دفعهم الله إلى طريقك . فهل قدّمت لأحد منهم كلمة روحية ، أو أية كلمة منفعة ، أو دفعة إلى قدام ...

ما أعجب خدام الرب الحقيقيين . إنهم مميزون بشهادتهم للرب (أع١: ٨) . أشخاص كثيرون يتقابلون معك . واحد منهم يقدم لك علمه ومعرفته ، وآخر يقدم لك ذكاءه، وثالث يقدم ظرفه ولطفه ، ورابع يقدم خدمة . أما هذا النوع المميز ، فيقدم لك الميسح ، بلباقة ولطف فتشعر باشتراك المسيح معكما ...

المسيح، بلباقة ولطف فتشعر باشتراك المسيح معكما ...

قد يكون ذلك فى أية مناسبة ، فى زيارة ، فى مرض، فى تعزية ، فى معايدة ...

فى لقاء عادى ، يحوله هو إلى لقاء روحى ، باسلوب هادئ طبيعى ...

وهنا أتذكر أعماقاً مذهلة فى لقاءات القديسين . لعل فى مقدمتها لقاء مريم العذراء مع إليصابات . أكان لمجرد خدمة تلك العجوز فى الشهور الأخيرة من حملها ؟ أم إننا نقف أمام هذه العبارة الجميلة " فلما سمعت أليصابات سلام مريم .. إمتلأت أليصابات من الروح القدس " (لو ١: ٤١) ... وكان لقاء نبوءة وكشف إلهى، وتسبيح وكلام روحى .

ماذا أيضاً عن اللقاء بين القديس الأنبا أنطونيوس، والقديس الأنبا بولا... وماذا عن اللقاءات بين القديسين التى كانوا يتكلمون فيها بعظائم الله، وإسمه على ألسنتهم . وكما تقول التسبحة " اسمك حلو ومبارك فى أفواه قديسيك " .

ولعلك تقول : من يسمع ؟ ومن يقبل ؟ ومن يفهم ؟

كلا يا أخى . تكلّم أنت ، وأترك النتيجة إلى عمل الله فى القلوب . المهم أن تنطق بكلمة الله فى حكمة . وثق أن كلمة الله لن ترجع فارغة . بل كما قال السيد الرب " هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى، لا ترجع إلىّ فارغة، بل تعمل ما سررت به، وتنجح فيما أرسلتها له " (أش٥٥: ١١) . إذن احرص فيما تخدم، أن يكون الله متكلماً على فمك. أما عن النتيجة، فاذكر قول الكتاب:

" إرم خبزك على وجه المياه ، فإنك تجده بعد أيام كثيرة " (جا١١: ١) .

هناك نفوس تحتاج إلى مدى زمنى ، حتى تقبل كلمة الله، وحتى يمكن أن تأتى الكلمة فيها بثمر... والأمر يحتاج إلى صبر ومثابرة .

إن كل نفس تعمل معها عملاً فردياً ، لها ظروفها الخاصة ، وعقليتها الخاصة ، ولها ماضيها وحاضرها، وبيئتها وضغوطها، ولها مشاعرها وأحاسيسها ومفاهيمها . وليست كل نفس تنفعها نفس الكلمة .

لذلك فإن العمل الفردى يحتاج إلى حكمة ، تتخير الكلام المناسب، والأسلوب المناسب ، ونوع المعاملة .

إن كنت بصدد مشكلة معينة معروفة ، يمكن أن تطرقها بطريقة مقبولة . أما إن كنت بصدد هداية عامة ، فربما لا يصلح الأسلوب المباشر الذى تفرض به العمل الروحى فرضاً ، بطريقة غالباً لا تقبلها ولا تستسيغها النفوس التى لم تتعودها . إنما يترقب الشخص المناسبة التى يقول فيها الكلمة الروحية بحيث تبدو طبيعية جداً غير مصطنعة ...


IHC
ΠXC

لاحِظ نفسك
وَالتعليم..

(١تى ٤: ١٦)

لاحظ نفسك والتعليم
(١تى٤: ١٦)

من قالها ؟ ولمن ؟

من قال هذه العبارة " لاحظ نفسك والتعليم ، وداوم على ذلك . فإنك إن فعلت هذا، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً " (١تى٤: ١٦) .

القديس بولس الكارز العظيم ، الذى اختبر الخدمة فى عمقها ، واختبر الحياة الروحية فى عمقها ، الذى فى الخدمة تعب أكثر من جميع الرسل (١كو١٥: ١٠) وفى الروحيات صعد إلى السماء الثالثة ، إلى الفردوس (٢كو١٢: ٢، ٤) .. بولس هذا يكتب إلى تلميذه تيموثاوس أسقف أفسس ، الذى سكن فيه الإيمان العديم الرياء ، وفى أسرته، أمه وجدته من قبل، وهو منذ الطفولة يعرف الكتب المقدسة (٢تى ٣: ١٥) .. يكتب إليه فيقول له " لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك . لأنك إن فعلت ذلك تخلص نفسك والذين

يسمعونك أيضاً " (اتى ٤: ١٦) .

ومع أنه فى الأسقفية محاط بأعباء ومسئوليات ضخمة ، وبخاصة فى بلد كأفسس ، ليست الخدمة فيها سهلة إذ قال القديس بولس نفسه " حاربت وحوشاً ، فى أفسس " (اكو١٥: ٣٢) . ولكن على الرغم من كل مسئوليات الخدمة الملحة ، يقول له معلمه "لاحظ نفسك " .

ويقول " لاحظ نفسك " أولاً قبل التعليم ، ويرى هذا لازماً لخلاصه ولخلاص لنفس الناس " لأنك إن فعلت ذلك ، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً " ..

إنها قاعدة أساسية يقدمها الرسول للجميع ، سواء كانوا خداماً أو أشخاصاً عاديين ، ولكن الخدام يمسهم هذا الأمر بعمق أكثر . فلماذا ؟

لاحظ نفسك . لماذا ؟

لأن هناك خداماً كثيرين ، وصلوا إلى مستوى كبير من شهرتهم وفى نشاطهم وفى سعيهم وراء الآخرين . وصارت لهم أسماء رنانة ... ومع ذلك نسوا أنفسهم وضاعوا .

هم يخدمون من الخارج فقط ... ولكن داخلهم مفقود !!

بعض هؤلاء الخدام كانوا يهتمون بأنفسهم قبل أن يصيروا خداماً . فلما بدأوا الخدمة زحف الفتور إلى قلوبهم . لأنهم ظنوا أن مهمتهم صارت الإهتمام بالآخرين وليس بأنفسهم هم والبعض منهم أصبحوا فى مستوى أقل بكثير من مستوى أولادهم وتلاميذهم . وهؤلاء يقول الرسول لكل منهم : " لاحظ نفسك والتعليم " .. ولماذا؟

" لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟" (مت١٦: ٢٦) .

ماذا يستفيد هؤلاء الخدام الذين يميتون أنفسهم فى الخدمة ، وإذ يهملون أنفسهم يخسرون الملكوت ؟ ويظن الواحد منهم وهو فى الخدمة ، أنه قد أخذ راحيل ، ثم ينظر فإذا هى ليئة ...

خدام كثيرون وجدوا أنهم فى الخدمة قد دخلت إلى حياتهم مشاكل وصراعات وإدانات ما كانوا يعانون منها من قبل .

حقاً إن الخدمة ليست فى جوهرها سبباً لكل هذه المشاكل والصراعات ولكن الذى لا يلاحظ نفسه ، قد يصل إلى هذا الوضع أو إلى ما يشبه . ويجد أنه فى الخدمة قد كثرت أخطاؤه ، ونبتت خطايا جديدة لم يكن يشكو منها ، أو كانت خافية ثم ظهرت .

وربما يبدو أن الخدمة قد أصعدته إلى فوق ، بينما هو فى حقيقة

الأمر قد هبط إلى أسفل ، سواء شعر بذلك أو لم يشعر !!

كلما يكبر فى الخدمة تزيد مشغولياته وقد تزيد أيضاً أخطاؤه وكلما تزداد مسئولياته تمتص وقته كله ، وبالتالى يهمل نفسه ولا يعطيها الغذاء الروحى اللازم لها . وهكذا ينزلق إلى تحت . وإن نصحته بترك الخدمة لكيما يلتفت إلى نفسه ، يحزنه ذلك جداً ، لأن الخدمة صارت بالنسبة له كل شئ فى حياته ، لا يمكنه أن يحيا فى المجتمع بدونها وليت مثل هذا الخادم يدرك حقيقة هامة وهى :

الذى يوصل إلى الله ، ليس الخدمة بل القلب النقى ...

والخدمة الحقيقية ليست هى الخدمة التى تقل فيها روحيات الإنسان ، وتظل تقل حتى تنتهى ، لأن الإنسان عاش فيها بعيداً عن نفسه . كل همه خارجها ينسى عبارة " ملكوت الله داخلكم " (لو١٧: ٢١) . ويحسب أن الملكوت هو خارج نفسه ، وسط الناس..!

فى عمق أعماق الخدمة ، كان القديس بولس الرسول يلاحظ نفسه ويهتم بروحياته . ولذلك استطاع أن يقول فى صراحة تامة :

" أقمع جسدى واستعبده ، حتى بعدما كرزت للآخرين ، لا أصير أنا نفسى مرفوضاً " (١كو٩: ٢٧) .

ما أخطر هذه العبارة وما أوجعها أن يصير إنسان مرفوضاً من

الله ، على الرغم من كرازته للآخرين .. يصير كالجسر الذى يوصل من شاطئ إلى شاطئ بينما هو قابع مكانه لا يتحرك ، ولا يصل إلى الشاطئ الآخر .. أو يصير كأجراس الكنائس التى تدعو الناس أن يدخلوا إلى الأقداس دون أن تدخل هى ...

" ليتك تخاف من عبارة " لئلا أصير أنا نفسى مرفوضاً " !

إذن لاحظ نفسك لأن هناك خداماً حياتهم الروحية لها شكل هرمى يرتفع أولاً حتى يصل إلى قمته ، ثم ينحدر إلى أسفل نازلاً من ارتفاعه !..

يصبح وقتهم ليس لهم ، واهتمامهم أيضاً ليس لهم ، وكذلك عاطفتهم .. كل الوقت والإهتمام والعاطفة يتحول إلى ما يسمونه الخدمة ! أما روحياتهم الخاصة ، فلا يجدون لها وقتاً على الإطلاق، ولا توجد رغبة فى قلوبهم للإهتمام بها ..! وربما يظن بعضهم أن هذا لون من بذل الذات لأجل الآخرين !

بذل الذات فضيلة بلاشك . ولكن بذل الروحيات خطيئة وضياع..

ويوحنا المعمدان : عندما قال " ينبغى أن ذاك يزيد وأنى أنا أنقص " (يو٣: ٣٠) . لم يقصد مطلقاً أنه ينقص فى الروحيات أو فى محبة الله ! كلا ، بل ينقص من جهة الكرامة والخدمة

والظهور. أما روحياته فكانت تزيد باختفائه لكي يظهر المسيح مكانه ، ويتولى دفة الكنيسة بنفسه ، يتسلم العروس .. وهكذا كان يوحنا يزيد فيما كان يبدو أنه ينقص ! .. كان يزيد في إتضاعه وفي محبته لله وفي إيمانه بالمسيح وعمله ..

لاحظ نفسك . فإن وجدت روحياتك تقل في محيط الخدمة ، اتخذ موقفاً لانقاذ نفسك :

لا تقطع من روحياتك لكي تعطي للخدمة وأيضاً لا تقطع الخدمة وتوقفها من أجل روحياتك .. إنما اقتطع من الوقت الضائع وقدمه لروحياتك ، واقتطع أيضاً من مشغولياتك العالمية أو العلمانية لكي تهتم بروحياتك . قم من غفلتك هذه ، وافهم الخدمة على حقيقتها إنها ليست دوامة تدور فيها نفسك ، دون أن تعرف أين أنت !

أمثلة للضياع في الخدمة :

تحت هذا العنوان نقدم نوعين : نقدم أمثلة من أشخاص ، وأمثلة من أخطاء .

الإبن الضال الكبير (لو١٥) كان مثلاً واضحاً حينما رفض أن يشترك في الفرح برجوع أخيه ، بل احتج على ذلك ، وكلم أباه بروح الإنتقاد والشكوى والتذمر ، قائلاً له " ها أنا أخدمك سنين

هذا عددها، وقط لم تعطنى جدياً لأفرح به مع أصدقائى، وابنك هذا"

وإذا بـه بعد سنين هذا عددها فى الخدمـة ، يصـل إلـى هـذا المستوى الساقط !

فهو مركز حول ذاته ، وهو ساخط على وضعه ، ويقارن نفسـه بأخيه ، ويغضب لأن أخاه فى موضع الرضى وقد فرح به كل أهل البيت .. بينما هو ليس فى شركة مع الآب !

وما أكثر الخدام الذين يعيشون فـى نفس هذه المشـاعر ، علـى الرغم من طول خدمتهم . لذلك يقول الرسول لكل منهم : لاحـظ نفسك ...

فى الخدمـة أيضـاً سقط سليمان مـع أنـه كـان مـن قبل ممتلئـاً حكمة..

وكـان قد بـدأ خدمتـه بـروح عجيبـة ، وقـام بأعمـال عظيمـة . وتراءى له الله مرتين : فـى جبعون وفـى أورشليم . ولكنـه إذ لـم يلاحظ نفسه سـقط (١مـل١١) . وأبـوه داود أيضـاً الـذى حـل عليـه روح الرب (١صم١٦) ، وكان رجل صلاة ومزامير ، إذ لم يلاحظ نفسه لما كبر فى الخدمة ، سقط أكثر من مرة ، و تاب ...

ديماس كان خادمـاً كبيراً مـن أعـوان بولـس الرسـول ، وإذ لـم يلاحـظ نفسـه سـقط وانتهـى (٢تـى٤: ١٠) . ونيقـولاوس كـان أحـد

الشمامسة السبعة المملوئين من الروح القدس وسقط !

هناك أمور عديدة يسقط فيها الخادم الذى لا يلاحظ نفسه ، وفى مقدمتها الكبرياء .

الخادم الروحى يحتفظ بتواضع قلبه ويحب كل حين أن يتعلم ويزداد معرفة . ولكن يحدث أن البعض حينما يكبرون تكبر قلوبهم ، ويفقدون تلمذتهم . ثم يعتزون برأيهم الخاص وبأفكارهم الخاصة . ولا يسترشدون بأحد . وقد يسألون أحياناً أحد المرشدين لمجرد معرفة رأيه ، دون التقيد بالسير حسب هذا الرأى ؟

ثم يتطورون من حب التعلم واستلهام الطريق إلى المناقشة والمجادلة ، ثم إلى المعارضة والتشبث بالرأى ، ثم إلى الإدانة وتحطيم الغير .

وبعضهم قد ينتهى به الأمر إلى التأله ، فيقدم فكره وكأنه عقيدة. ولا يقبل مناقشة فيه ولا يحتمل معارضة ويثور على كل من يخالفه فى شئون الخدمة . ويأتى وقت قد يفرض فيه رأيه فرضاً . ويصف كل من يخالف هذا الرأى بالعناد والعصيان .. أليس من الأصلح لمثل هذا الخادم أن يلاحظ نفسه أولاً ليرى أين هو؟ وإلى أين يسير ؟!

وكثير من الخدام كلما كبروا ، يلاحظ أن أعصابهم قد ضعفت ،

واصبحوا يثورون !

تكثر أنتهاراتهم للغير ، ويكثر توبيخهم وغضبهم . ولا يعودون يحتملون أخطاء الغير . وإن نبهوهم إلى هذه الأخطاء ، يكون تنبيههم فى عنف ، وربما بأسلوب جارح وفى غير إحترام لشعورهم ! وتكثر إدانتهم للآخرين . وفى كل ذلك يفقدون وداعتهم ويفقدون إتضاعهم ..

وتضيع صورتهم البشوشة ومعاملتهم الطيبة ...

وبعض هؤلاء يكثر صياحه ويعلو صوته ، ويكثر أمره ونهيه ويملكه روح التسلط .

ومثل هذا يحتاج بلاشك إلى عبارة " لاحظ نفسك " قوانين الكنيسة تشترط فى الأسقف أنه لا يكون غضوباً . وهذا هو تعليم الكتاب أيضاً (تى١: ٧) . وهذا الوصف أيضاً للقسوس والشمامسة وكل الخدام ...

كيف تلاحظ نفسك :

١ - ضع هذا فى فكرك وقلبك باستمرار أنك تهتم بنفسك ولأبديتك . وأن النعيم الأبدى لا يمكن أن تناله إلا بنقاوة القلب وعمق صلتك بالله . وأنك إن خسرت نفسك خسرت كل شئ وإن

ربحتها ربحت كل شئ .

٢ - واعرف أنك إن لاحظت نفسك سوف تلاحظ التعليم أيضاً. بل إن نفسك ذاتها هى التعليم . هى الدرس والقدوة والعظة والنموذج الحى ..

الأم والأب هما أول درس يتلقاه الطفل فى حياته الروحية . والزوجة المتدينة هى درس عملى لزوجها .. تجذبه معها إلى الله والخادم أو المدرس هو الدرس والقدوة بالنسبة إلى أولاده وتلاميذه. يتعلمون من حياته أكثر مما يتعلمون من عظاته ...

٣ - لذلك إن أردت أن تهتم بتلاميذك وتهتم بالتعليم ، ضع أمامك قول الرب :

" من أجلهم أقدس أنا ذاتى ، ليكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق" (يو ١٧) .

وطبعاً هذه العبارة تؤخذ على الرب بمعنى ، وعلى الخدام بمعنى آخر . المهم أن تتقدس حياتك للرب كلما تكون خدمتك ناجحة ومثمرة . لأنك لا يمكن أن تعطى غيرك من فراغ . وإنما كن كما نقول دائماً فى مجال الخدمة " لا يفيض إلا الذى إمتلأ " . فلكى تفيض على غيرك ينبغى أن تمتلئ أولاً ...

٤ - ولكن لا يكن غرضك من الإمتلاء هو أن تفيض على

غيرك . إنما امتلئ لأن هذا الإمتلاء متعة روحية لك ..

إمتلئ بالحب ، امتلئ بالروح ، امتلئ بالمعرفة ، لأن الحب هو حياتك وفكرك . ومعرفة الله هى أعمق معرفة تغذى الروح وتعطيها متعة روحية ، هنا وفى الأبدية (يو١٧: ٣) . إقرأ من أجل روحياتك ، وليس لكى تحضر درساً ، أو لكى تنفع الآخرين بمعلوماتك !

٥ - وعندما تلاحظ نفسك ، لاحظ أفكارك ومركز الله فيها .

استوقف عقلك بين الحين والحين ، لكى تعرف أين تجول أفكارك . وإن سرحت أعرف فى أى موضوع تسرح ولماذا ؟ وماذا تختبئ وراء ذلك من مشاعر . وتذكر أن الأب الكاهن يسأل الشعب فى القداس الإلهى ويقول لهم : " أين هى عقولكم ؟ " فيجيبونه قائلين " هى عند الرب " ليت هذه الإجابة تكون صادقة وسليمة فى كل وقت . ولتكن لك باستمرار يقظة العقل ...

وإن سرحت بك أفكارك ، اجمعها بسرعة وقل لنفسك أنا اضطجعت ونمت ثم استيقظت " (مز٣) . وليتك تقول فى ذلك أيضاً " أنا استيقظ مبكراً " (مز٥٦) .

٦ - وكما تلاحظ افكارك ... لاحظ حياتك كلها وتصرفاتك ...

لاحظ تعاملاتك مثلاً مع الناس ... ولاحظ مدى روحانية

تصرفاتك . وفي كلٍ خطوة تخطوها إسأل نفسك – أين أنا الآن ؟ حاسب نفسك جيداً . بدون تبريرات وبدون أعذار ولا تجامل ذاتك فى أمر من الأمور واذكر قول القديس مقاريوس الكبير "احكم يا أخى على نفسك قبل أن يحكموا عليك ..

٧ – لاحظ أيضاً اهدافك وكذلك وسائلك :

هل لك أهداف عالمية ؟ هل ذاتك هى أهم أهدافك ؟ أم لك هدف واحد هو الإلتصاق بالله . ومعه لا تريد شيئاً على الأرض ؟ وهل انحرفت بك الأهداف ؟ هل أصبح من أهدافك المال أو الشهرة أو السلطة أو العظمة أو الترف أو مجرد العلم والمعرفة ؟

وما هى الوسائل التى تحقق بها أهدافك ؟ أهى وسائل روحية ؟ أم دخل فيها التحايل والخطأ ؟

٨ – لاحظ مستواك : أهو المستوى الجسدانى ؟ أم المستوى الروحى ؟ أم الإجتماعى ؟

قد تكون فضائلك كلها إجتماعية لا دخل للروح أو لمحبة الله فيها . وقد تكون مجرد فضائل جسدانية بلا روح . وربما لا تكون قد وصلت إلى هذا المستوى أو ذاك . فليتك تعرف أين أنت ؟ وتعرف مدى ممارستك لوسائط النعمة .

٩ – لاحظ أيضاً أخطاءك .. لا تجعلها تمر عليك سهلة ... أو

بدون علاج ..

الإنسان الروحى قد يسقط ، ولكنه يدرك سقطته ويندم عليها . وبسرعة يقوم . كما أنه يحتاط للمستقبل حتى لا يتكرر سقوطه . فهل أنت كذلك ؟ أم أنك تسقط وتستمر فى سقوطك . وقد تتحول إلى أسوأ . أو قد تتأقلم مع الأخطاء وتصبح عادات لك . أو تدخل فى طباعك فتنطبع بها . وتحاول أن تفلسفها . وتبررها كسلوك سوى ..!

١٠ – لاحظ نفسك أيضاً من جهة النمو الروحى .

الحياة الروحية هى رحلة نحو الكمال .. يتقدم فيها الإنسان باستمرار . حتى يصل إلى الصورة الإلهية التى خلق بها (تك١: ٢٧) . فهل أنت فى كل يوم تمتد إلى قدام ؟ أم وصلت إلى مستوى معين فى الروحيات وتجمدت عنده ؟ أنظر إلى نفسك ؟ هل أنت سائر فى الطريق الروحى ؟ أم أنت واقف ؟ أم أنت راجع إلى الخلف ؟

وهل تنمو من جهة الكمية والنوعية ؟ أم هو نمو شكلى ؟ كمن يزيد عدد صلواته ، ولكن بغير عمق ، بغير روح ، بغير فهم ولا تأمل ، بغير حرارة ولا خشوع ، بغير إيمان بغير إتضاع !!

لاحظ نفسك والتعليم :

والتعليم ليس مجرد رسميات . والخدمة كذلك ليست هى وظيفة.

الدين هو حب ينتقل من قلب إلى قلب ، وإيمان يتسلمه جيل من جيل .. والدين هو قدوة تنتقل من حياة إلى حياة ، وهو ملكوت الله ينتشر وينمو . وهو غيرة مقدسة تشتعل فى قلب فتشعل بلهيبها قلوباً أخرى ... والخادم الروحى هو إنسان إلتصق بالله " والله محبة " فامتلأ بالحب نحو الله والناس .

هذه هى الخدمة التى ينبغى أن تلاحظها . ومن جهة التعليم فينبغى أن يكون تعليماً سليماً ، كما قال القديس بولس لتلميذه تيطس " تكلم بما يليق بالتعليم الصحيح " (تى٢: ١) . فلا يكن تعليمك فكراً شخصياً ، ولا تعليماً منحرفاً ، ولا مجرد عقيدة أبتكرتها . فتعدد مدارس التعليم أوجد البدع والهرطقات .

وكما يكون تعليمك سليماً ، ينبغى أن يكون أيضاً تعليماً دسماً يشبع سامعيك . كما يجب أن يكون مناسباً لهم ، متدرجاً مع مستواهم . ويكون تعليماً نقياً من الشتائم ومن التوبيخ . يشعر كل من يسمعه أن الروح هو الذى يتكلم على فمك ، وهو الذى أعطاك ما تتكلم به .

لاحظ التعليم الذى تعلّمه لغيرك بحيث يكون تعليماً كتابياً يستند على كلمة الله التى تحكمك للخلاص (٢تى٣: ١٥) . وكما قال القديس الأنبا أنطونيوس " كل ما تقوله ينبغى أن يكون لك عليه شاهد من الكتب " .

وليكن تعليمك أيضاً تعليماً رسولياً حسب التقليد الذى تسلمناه من الآباء (٢تى٢: ٢)، ليكن تعليماً آبائياً حسبما تعلمناه من آبائنا القديسين . لا تعتمد على فكرك الخاص ، لئلا تضلك الأفكار . وكما قال الكتاب " وعلى فهمك لا تعتمد " (أم٣ : ٥) . وإنما أنظر ماذا قال آباؤنا الذين تكلموا بالروح .

وليكن تعليمك أيضاً كاملاً . فلا تذكر أنصاف الحقائق ، واحذر من خطورة استخدام الآية الواحدة . فالكتاب كله تعليم متكامل ... وليكن تعليمك أيضاً مؤثراً وجذاباً ، ومشوقاً لسامعيك . يفرح به تلاميذك " كمن وجد غنائم كثيرة " (مز١١٩) ... تمتصه الروح فى بهجة قلب ، ويشبع به الفكر .

وإن لاحظت نفسك والتعليم ، ماذا تكون النتيجة ؟

تخلص نفسك :

لا تنسَ نفسك وسط اهتمامك بالآخرين وتعليمهم . وينبغى أن تشعر أنك تحتاج إلى التعليم مثلهم ، وتسعى إلى الخلاص أيضاً

مثلهم إن كانت القديسة العذراء قد قالت " تبتهج روحى بالله مخلصى " (لو ١: ٤٧) . فماذا تقول أنت عن نفسك ؟

أنت محتاج إلى الخلاص أيضاً ، كما كان يحتاج إليه القديس تيموثاوس الأسقف الذى كتب له هذه العبارة . ولا تظن أن عملك فى الخلاص هو خاص بخلاص الآخرين ، وإنما بنفسك أيضاً . لذلك لاحظ نفسك ، لكى تتمم خلاصك بخوف ورعدة كما يقول الرسول (فى٢: ١٢) . وأنصت إلى القديس بطرس وهو يقول "سيروا زمان غربتكم بخوف " (١بط١: ١٧) .

إنك لا تستطيع أن تعمل على خلاص غيرك ، طالما أنت نفسك لم تسر فى طريق الخلاص بعد ، ولا يمكنك أن تعلم غيرك التدقيق فى الحياة الروحية ، إلا إن كنت أنت نفسك مدققاً ، أعنى إن كنت تلاحظ نفسك ، وتلاحظ كيف تطبق التعليم فى حياتك الخاصة ... وحينئذ كما تلاحظ نفسك وتعمل على خلاصها . فإنك أيضاً :

تخلص الذين يسمعونك :

أى تقودهم فى طريق الخلاص ، بالتعليم السليم ، وبالقدوة الصالحة التى تقدمها لهم فى ملاحظتك لنفسك وإهتمامك بها ... فيقلدون حياتك وسيرتك ، كما كان يفعل القديس تيموثاوس بالنسبة

إلى معلمه القديس بولس الرسول (٢تى٣: ١٠، ١١) .

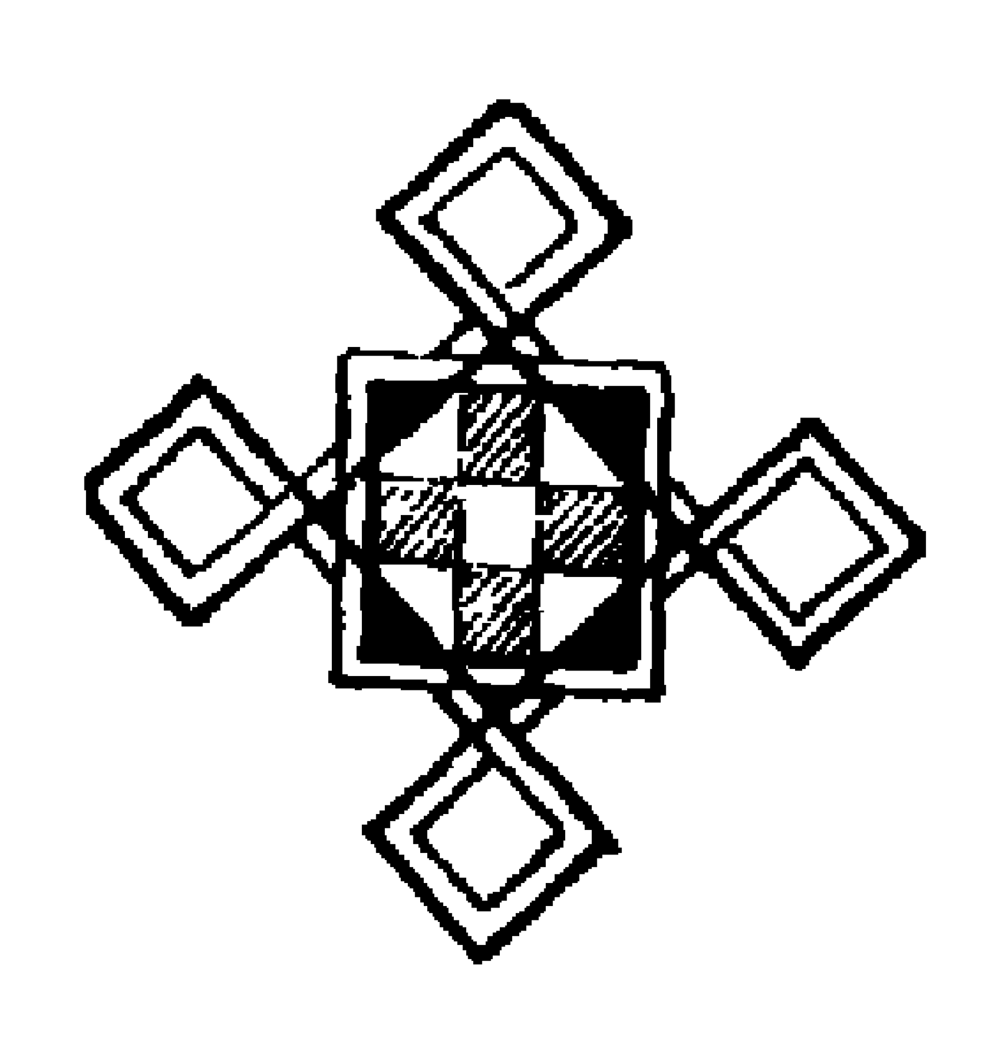
هذا هو السلوك السليم الذى ينبغى أن يسلكه كل خادم .

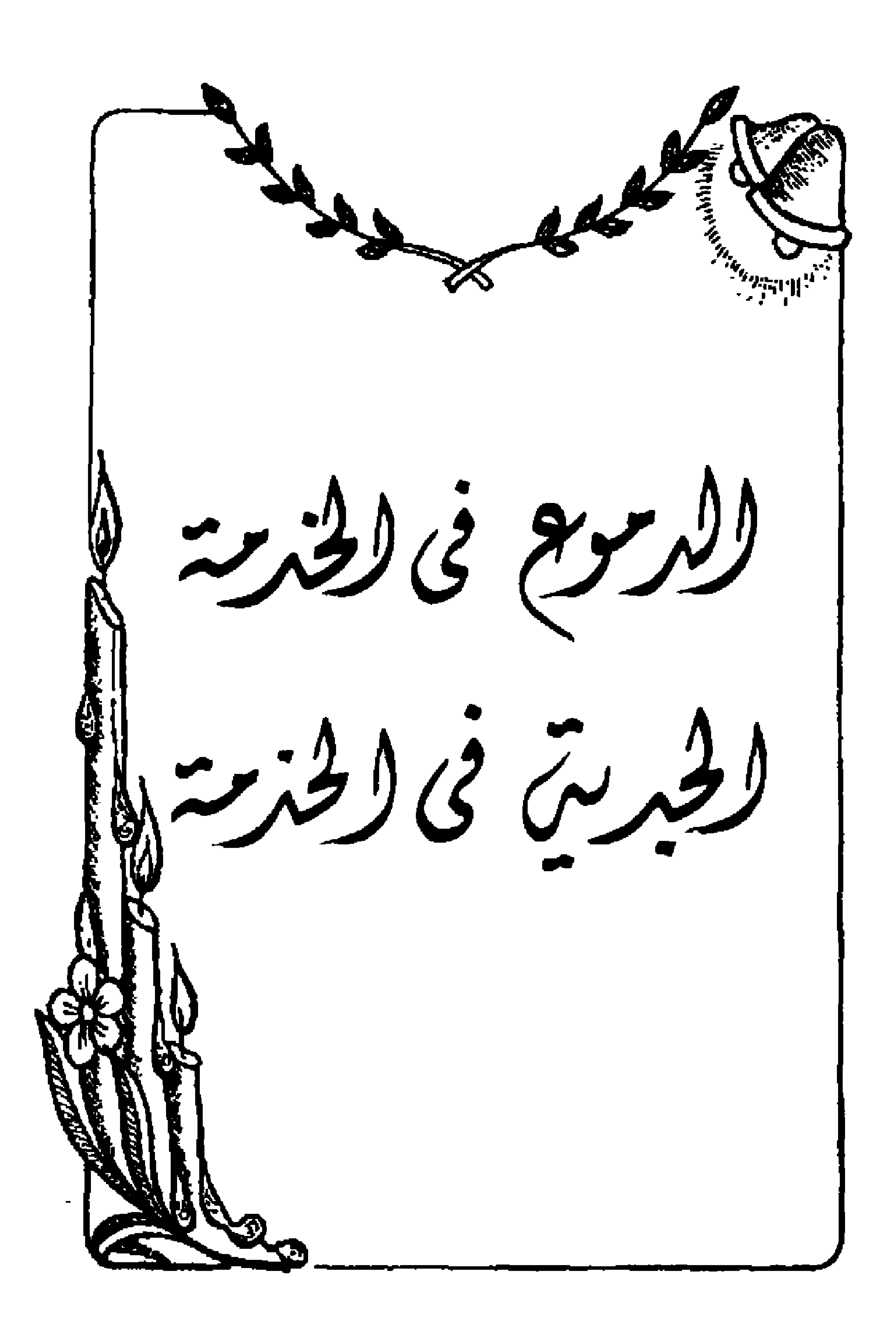
أما الذى لا يهتم بنفسه ، ولا بالتعليم ، فإنه يضيع نفسه والذين يتتلمذون عليه أيضاً .

فإن لاحظت نفسك والتعليم ، استمر هكذا ، وكما يقول الرسول:

داوم على ذلك :

لأن كثيرين بدأوا خدمتهم باهتمام وحرص، ثم فتروا فى حياتهم، وفترت خدمتهم أيضاً ، وفتر تأثيرهم على غيرهم !! أما أنت يا رجل الله فلا تكن هكذا . وإنما لاحظ نفسك والتعليم ، وداوم على ذلك . ولتكن روحك مشتعلة بالحب الإلهى ، وبنقل هذا الحب إلى الآخرين .





الدموع فى الخدمة

الجدية فى الخدمة

الدموع فى الخدمة

لعل من أشهرها دموع أرميا النبى .

هذه التى سجلت فى سفر كامل ، من الأسفار المقدسة دعى (مراثى أرمياء) .

والذى يشمل صلوات كثيرة ، كلها تنهد وحسرة ، كأن يقول :

"أنظر يارب ماذا صار لنا . وأنظر إلى عارنا . قد صار ميراثنا للغرباء .. صرنا بلا أب، أمهاتنا كأرامل" (مرا٥: ١– ٣) .

ويقول أيضاً " مضى فرح قلبنا . صار رقصنا نوحاً . من أجل هذا حزن قلبنا . من أجل هذه أظلمت عيوننا .. لماذا تنسانا إلى الأبد وتتركنا طوال الأيام . أرددنا يارب فنرتد . جدد أيامنا كالقديم . هل كل الرفض رفضتنا ؟!" (مرا ٥: ١٥ – ٢٢) .

ويشرح في هذا السفر بكاء مملكة يهوذا فيقول :

" على هذه أنا باكية . عينى عينى تسكب مياهاً . لأنه قد ابتعد عنى المعزى، راد نفسى " (مرا ١: ١٦) " كلّت من الدموع عيناى. غلت أحشائى" (مرا ٢: ١١). " سكبت عيناى ينابيع ماء على سحق

بنت شعبي . عيني تسكب ولا تكف بلا إنقطاع ، حتى يشرف وينظر الرب من السماء " (مرا ٣: ٤٨ - ٥٠) .

هنا بكاء بلا إنقطاع ، وبلا عزاء ، حتى تعبت العين من البكاء، وشعور بأن الله قد ترك النفس أو نسيها أو رفضها !! وصلاة .. مع صلاة إليه أن يرجع !!

٢ - ولعل من الأمثلة أيضاً بكاء المسبيين عند أنهار بابل . وفي ذلك يقول المرتل :

" على أنهار بابل هناك جلسنا ، فبكينا عندما تذكرنا صهيون. على الصفصاف في وسطها علقنا قيثاراتنا . لأن هناك سألنا الذين سبونا أقوال التسبيح ... كيف نسبح تسبحة الرب في أرض غريبة ؟!" (مز ١٣٦) .

٣ - ومن الأمثلة أيضاً بكاء نحميا لما سمع أخبار سيئة عن أورشليم .

فقال : فلما سمعت هذا الكلام ، جلست وبكيت ، ونحت أياماً وصمت وصليت أمام إله السماء " (نح١: ٤) .

وفي صلاته أعترف بخطايا كل الشعب ، وطلب من الرب رحمة ، مذكراً إياه بمواعيده للآباء .

٤ - ونفس الوضع بالنسبة إلى عزرا الكاهن ، لما عرف

خطايا الشعب . فبكى وأبكى الشعب معه .

وفى ذلك يقول الكتاب " فلما صلى عزرا ، واعترف وهو باكٍ وساقط أمام بيت الله، اجتمع إليه من إسرائيل جماعة كثيرة جداً من الرجال والنساء والأولاد . لأن الشعب بكى بكاءً عظيماً " (عز١٠: ١) .

وفى غير المراثى ، يقل أرمياء النبى فى سفره :

" يا ليت رأسى ماء ، وعينى ينبوع دموع ، فأبكى نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبى" (أر٩: ١) .

٥ - وقد بكى دانيال النبى أيضاً من جهة سنوات السبى :

وقال فى ذلك " فوجهت وجهى إلى الله السيد طالباً بالصلاة والتضرعات ، بالصوم والمسح والرماد . وصليت إلى الرب إلهى واعترفت وقلت .. أخطأنا وأثمنا، وعملنا الشر، وتمردنا وحدنا عن وصاياك وأحكامك .. " (دا٩: ٣- ٥) .

" فى تلك الأيام ، أنا دانيال كنت نائحاً ثلاثة أسابيع أيام، لم آكل طعاماً شهياً ، ولم يدخل فى فمى لحم ولا خمر، ولم أدّهن، حتى تمت ثلاثة أسابيع أيام" (دا١٠: ٢، ٣) .

وهنا نرى البكاء مصحوباً بالصلاة والصوم والزهد والإعتراف بالخطايا .

٦ – من أمثلة البكاء فى الخدمة بكاء ميخا النبى " من أجل إثم يعقوب ومن أجل خطية بيت إسرائيل " (مى١: ٥) . وفى هذا يقول:

" من أجل ذلك أنوح وأولول . أمشى حافياً وعرياناً . أصنع نحيباً كبنات آوى، ونوحاً كرعاة النعام . لأن جراحاتها عديمة الشفاء . لأنها قد أتت إلى يهوذا .. " (مى١: ٨، ٩) .

٧ – ولعل فى قمة البكاء فى الخدمة بكاء ربنا يسوع المسيح على أورشليم :

وفى ذلك يقول الكتاب " وفيما هو يقترب ، نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلاً .. فإنه ستأتى أيام ، ويحيط بك أعداؤك بمترسة.. ويهدمونك وبنيك فيك ، ولا يتركون فيك حجراً على حجر .. " (لو١٩: ٤١– ٤٤) .

٨ – ومن أمثلة البكاء أيضاً بكاء بولس الرسول فى الخدمة :

فإنه يقول لكهنة أفسس " أنتم تعلمون من أول يوم دخلت آسيا، كيف كنت معكم كل الزمان ، أخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة وبتجارب أصابتنى من مكايد اليهود " .

" لذلك اسهروا ، متذكرين أنى ثلاث سنين ليلاً ونهاراً ، لم أفتر أن أنذر بدموع كل أحد " (أع٢٠: ١٩، ٣١) .

وحتى فى رسائله يقول لأهل كورنثوس " لأنى من حزن كثير وكآبة قلب ، كتبت إليكم بدموع كثيرة ، لا لكى تحزنوا ، بل لكى تعرفوا المحبة التى عندى ولاسيما من نحوكم " (٢كو٢: ٤) .

٩ - وبالمثل كان تلاميذ القديس بولس فى بكائهم .

فهو يرسل إلى تلميذه تيموثاوس ويقول له " .. أذكرك بلا انقطاع فى طلباتى ليلاً ونهاراً ، مشتاقاً أن أراك ، ذاكراً دموعك " (٢تى١: ٤) .

أسباب البكاء فى الخدمة :

القلب الحساس يتأثر من حالة الناس المخدومين .

يتأثر إذ يتذكر خطاياهم . كيف ضعفوا وكيف جرحوا قلب الله.

ويتأثر بنتائج الخطية ، وما جلبته من متاعب ومن ويلات .. أو بما سوف تجلبه من غضب الله .

بل قد يتأثر فيما هو يوبخ على الخطايا، متذكراً ضعفه هو أيضاً، وأنه ما كان يريد أن يوبخ ، فينذر بدموع ...

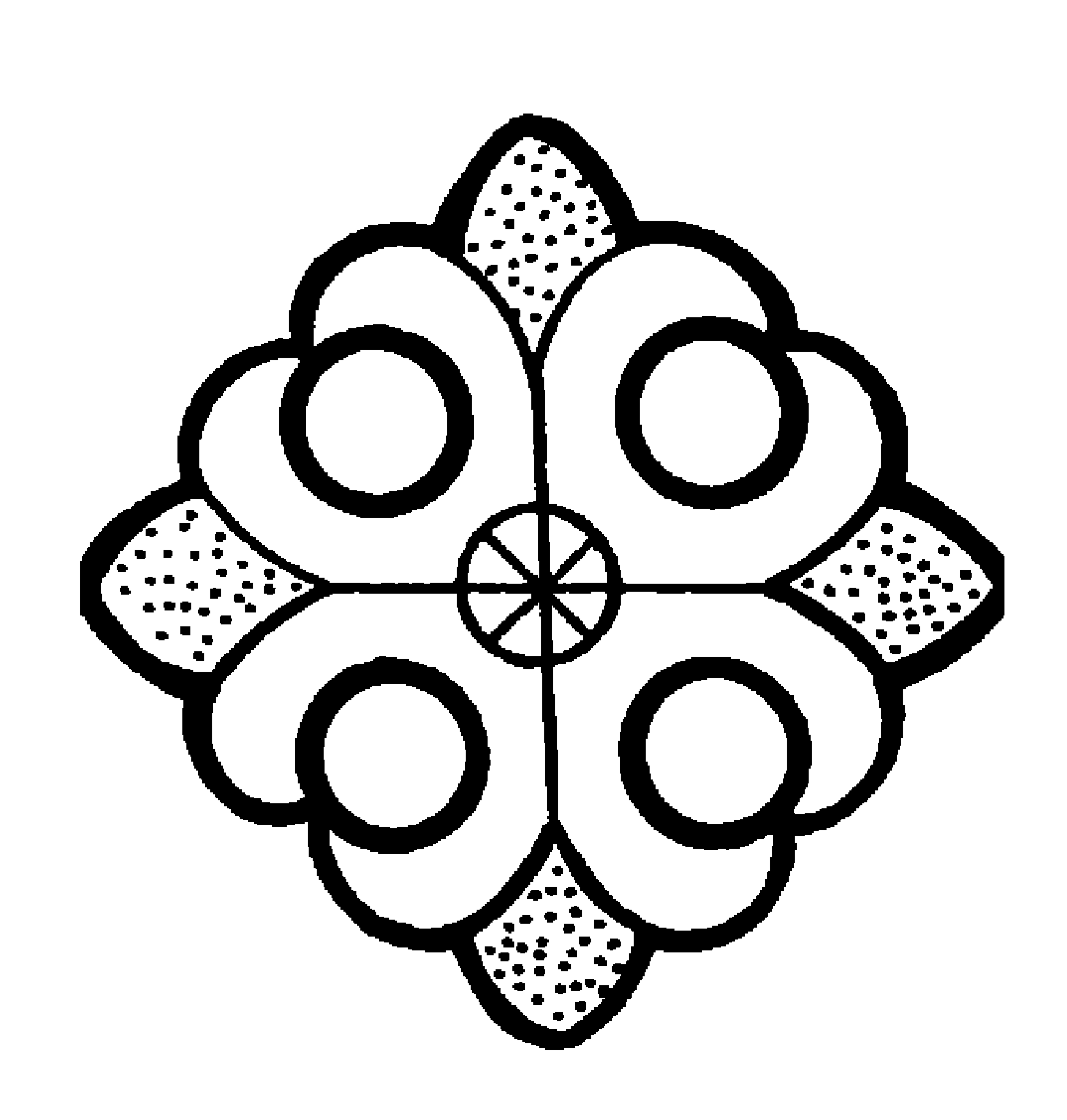
وقد يبكى الإنسان فى الخدمة ، طالباً معونة الله ، أو طالباً رحمته ومغفرته . أو يبكى وهو يعرض على الله فى صلاته ، ما وصل إليه الأمر من ضياع .

يبكى الإنسان فى الخدمة شاعراً بضعفه ، ومتوسلاً إلى الله أن

يتدخل ، لأن الأمور لا تحلّ بدونه .

أو قد يبكي من شدة المشاكل ، ومن ضغط العدو عليه ، أو من شماتة العداء وتعييرهم ، كما قال داود النبى :

" صارت لى دموعى خبزاً نهاراً وليلاً ، إذ قيل لى كل يوم أين إلهك ؟ هذه أذكرها فاسكب نفسى علىّ ... " (مز ٤٢: ٣، ٤) .



الجديـة فى الخدمـة

الخادم الناجح هو الذى يتميز بالجدية فى الخدمة ...

وهذه الجدية تشتمل على عناصر كثيرة منها :

١ - إن الكنسية قد إئتمنته على هذا الطفل أو هذا الشاب .

فى مرحلة معينة من العمر لها خصائصها ، فهـو المسئول عن تعليمه وعن تقديم القدوة له فى هذه المرحلة . وإن أهمل فى ذلـك ، يكون قد ضيع تلك المرحلة عليه .

إن تلميذه أمانة فى عنقه سيقدم عنــه حسـاباً : أمـام اللـه ، وأمـام الكنيسة ، وأمام أب إعترافه ، وربما أمام أسرة هذا التلميذ أيضاً .

٢ - عليه أن يكون جاداً فى تحضـير الـدرس ، وفـى تحضـير نفسه لهذا اللقاء .

إننـى ألاحـظ كثـيراً مـن الخـدام المبتدئيـن يكونــون جـادين فـى تحضير الدروس شاعرين بعجزهم عن التدريس بدون تحضير . أما الذين يهملـون تحضـير الـدروس ، فهـم الكبـار ، والخـدام القدامـى، وأحياناً بعض رتب الكهنوت.. إذ يظنون أنهم قد كبروا عن مستوى

التحضير . وقد يدخلون إلى الدرس أو إلى العظة بدون حتى ترتيب أفكارهم . والسامعون يدركون تماماً إن كان الموضوع قد سبق تحضيره أم لا ... ربما المعلومات غير منظمة ، غير مرتبة ، الأفكار ناقصة ، الآيات غير جاهزة .. إلخ .

على الأقل إن كانت لديك معلومات سابقة ، تحتاج أن تجمعها وترتبها وتقدمها فى أسلوب سهل ، وتجمع ما يناسبها من قصص وآيات وتداريب .

٣ – الإنسان الجاد فى خدمته ، جاد أيضاً فى الإفتقاد .

لأن الخدمة ليست مجرد درس يلقى ، إنما يلزم إفتقاد كل طالب، وبخاصة الذين يغيبون أو يكثر غيابهم .

٤ – ويحتاج الأمر أيضاً إلى الجدية فى حل مشاكل المخدومين

يسبق ذلك بلاشك التعرف عليها . وقد يحتاج الأمر إلى العمل الفردى مع البعض على الأقل ، وتحويل الكبار إلى أب إعتراف .

ومشاكل المخدومين تنقسم إلى قسمين : مشاكل عامة تتعلق بهذه المرحلة من السن ، ومشاكل خاصة لكل مخدوم على حدة ، قد تحتاج إلى مساهمة فى حلها ، إن لم يكن بطريق مباشر ، فعلى الأقل بطريق غير مباشر .

٥ – أيضاً الجدية فى إستخدام وسائل الإيضاح المتاحة .

سواء من الصور ، أو الأفلام ، أو الشرائح ، أو الكتب المصورة ، أو الخرائط .. إلخ . وهنا ننتقل من جدية الخادم فى الخدمة إلى جدية الفرع كله ، بما فى ذلك الكنيسة ، والأمين العام للخدمة والأمين المساعد للمرحلة ...

٦ - الجدية فى الخدمة ، تحتاج إلى صلاة .

صلاة من أجل الأولاد ، من أجل مشاكلهم ، ومن أجل الدرس وتأثيره ، من أجل الحالات الخاصة ، من أجل الخادم نفسه أن يعطى كلمة عند إفتتاح فمه .

٧ - الجدية فى الخدمة ، تشمل الجدية أيضاً فى قدوة الخادم .

أولاً يكون بلا عثرة أمامهم ، بلا خطأ واضح .. وثانياً يكون قدوة طيبة ، ويحرص على ذلك ، ويكون مدققاً فى كل شئ ... وحريصاً فى روحياته .

٨ - الخادم الجاد يحرص على نمو الخدمة .

نمو فى عدد الحاضرين ، ونمو فى روحياتهم ، وفى معرفتهم ، وفى ممارستهم للوسائط الروحية .

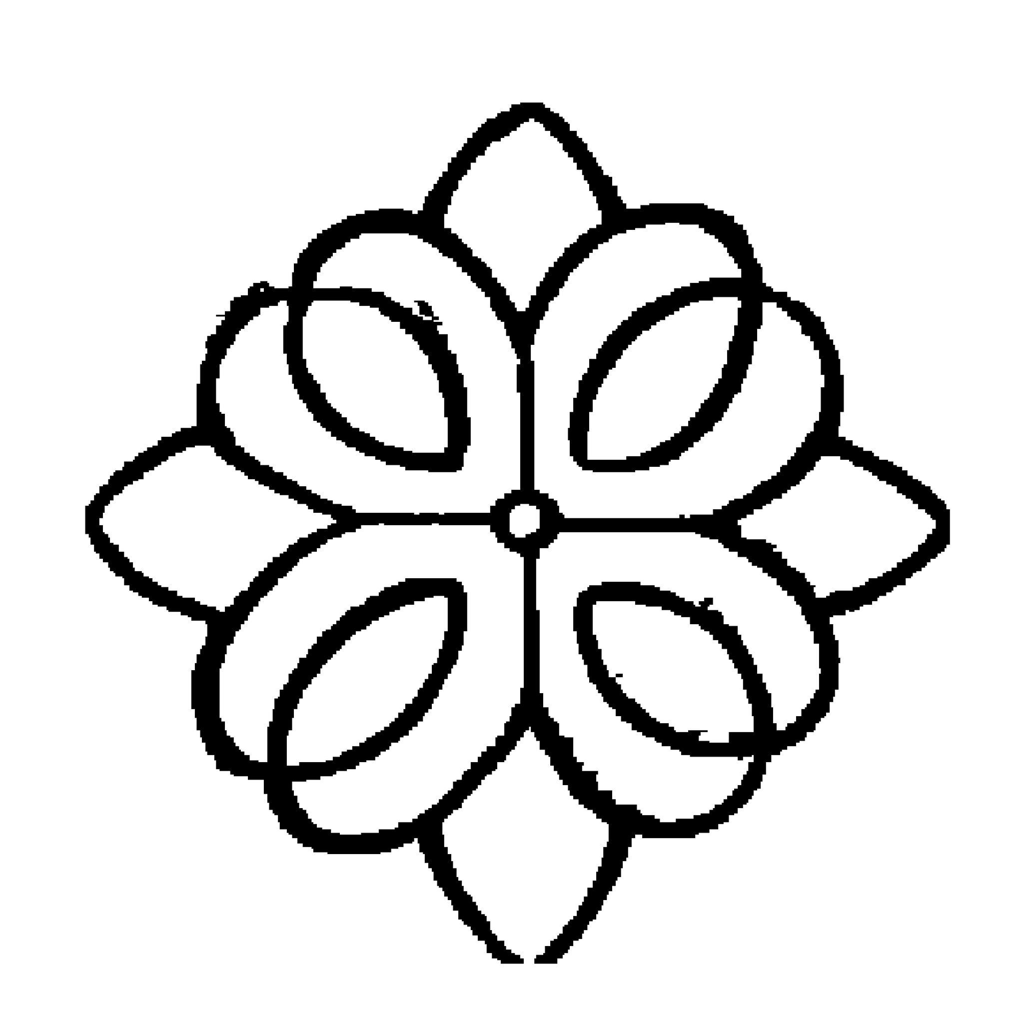
وبالنسبة إلى خدمة الشباب ، حينما ألاحظ نقص المكرسين ، ونقص الذين يقدمون للكهنوت ، أشعر أن الخدمة لم يصل نموها إلى هذا المستوى ، ووقفت عند حد معين لم تتعداه .

٩ - تظهر جدية الخادم فى مدى إخلاصه للخدمة .

مدى مواظبته عليها ، ومدى حبه للمخدومين ، ومدى حرصه على تعليمهم وتربيتهم ، ونموهم روحياً . وإشرافه على سلوكهم ، وملاحظة الأخطاء والعمل على تلافيها ، ومعالجة التلاميذ المشاكسين واحتضانهم ، وملاحظة أن دروسه لها تأثير فى حياتهم.

١٠ - والخادم الجاد لا تقتصر خدمته على الدرس .

إنما يهتم أيضاً بالعلاقة الخاصة بأولاده ، والأنشطة اللازمة لهم، وما يلزمهم فى حياتهم الخاصة ، ومراعاة مدى نجاحهم فى دراستهم ، ومدى توفيقهم فى حياتهم العائلية .



الخدمة ... والفتور



إذا فترت حياتى الروحية ، هل أترك الخدمة أم أستمر ؟



نحن لا نستطيع أن نجعل خدمة أحد الفصول فى التربية الكنسية تتذبذب بسبب حالة الفتور التى قد تصيب الخادم أحياناً . ولكن مادام الفتور لا يعطى روحانية للخدمة ، فالقاعدة هى :

إن كنت فى حالة فتور ، فلا تترك الخدمة ، بل أترك الفتور .

هذا ومن المعروف أنه قد لا يوجد أحد فى حرارة مستمرة ، ومن الممكن أن يتعرض كل أحد للفتور ، فمن النافع جداً النظام الموجود فى كثير من الفروع : وهو دخول خادمين معاً فى فصل

واحد يعين كل منهما الآخر .

ونقدم بعض النصائح للخادم فى فترة فتوره :

١ - إذا فتر الخادم ، فلتنسحق نفسه أمام الله ، ولتكثر صلاته ، ولتكن فى عمق ...

تنسحق نفسه فى شعور بعدم الإستحقاق ، وفى توبيخ على فتورها .. وليرفع قلبه إلى الله قائلاً " ليس عندى يارب ما أعطيه لهم، فأعطنى أنت ما تريد أن تقدمه لهم ... ليس يارب من أجلى ، بل من أجلهم ، أنقذنى من هذا الفتور ، ولو فى ساعة تدريسى لهم فقط ... حتى لا يكون تدريسى لهم مضيعة لوقتهم ، وعثرة لهم ...

٢ - وليحاول الخادم أن يتخذ من الدرس علاجاً لفتوره .

فالدرس فى التربية الكنسية ، ليس هو من أجل التلاميذ فقط ، وإنما هو من أجل الخادم أيضاً . فليجاهد الخادم من أجل أولاده. وليضع أمامه تلك الآية الجميلة " من أجلهم أقدس أنا ذاتى، لكى يكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق" (يو١٧: ١٦) .

وليوبخ نفسه قائلاً : ما ذنب هؤلاء الصغار ، أن يكون مدرسهم فى حالة من الفتور كما أنا الآن .

٣ - وهكذا يقود نفسه إلى التوبة .

ولا يسمح أن حالة الفتور يطول وقتها معه . بل يبحث عن

أسبابها ، ويعمل على معالجة نفسه منها . وإن كان السبب هو التقصير فى وسائط النعمة ، عليه أن يعود إليها بنشاط ... وإن كان السبب هو خطية رابضة قد أفسدت عليه روحياته ، فليتب عنها .

٤ - وليعرف أن الفتور خطر عليه ، سواء كان يخدم أم لا يخدم .

فتركه للخدمة ليس علاجاً له ولا للخدمة إذن لابد أن يعالج الفتور فى حياته ، أولاً من أجل نفسه . وليعلم أن السيد المسيح علّمنا أن نشهد له فى أورشليم ، قبل السامرة وإلى اقصى الأرض . وأورشليم هنا ترمز إلى حالة القلب من الداخل .

٥ - وليعرف أن كثيرين من الذين تركوا الخدمة بسبب فتورهم ، ضاعوا .

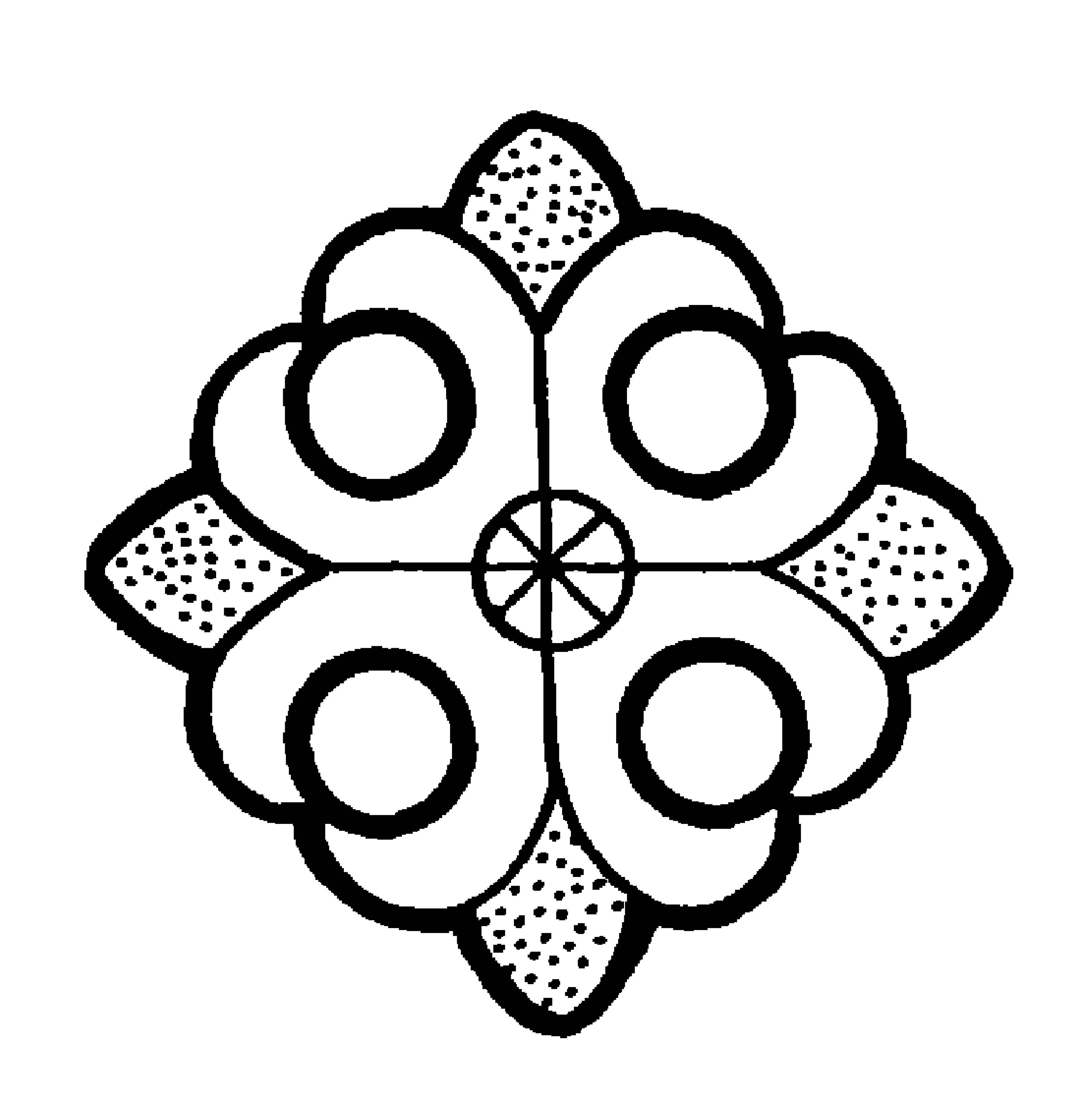
لأن الخدمة فى حد ذاتها هى واسطة من وسائط النعمة ، تعطيهم الفرصة لقراءة الكتاب والتأمل فيه ، وللوجود فى وسط روحى له تأثيره . كما أن البقاء فى الخدمة يساعد على تبكيت النفس وعودتها إلى الله وربما تكون الخدمة هى الخيط الذى يربطه بالله فى حالة فتوره . وإن فقده ، قد يفقد الدافع الروحى إلى التوبة.

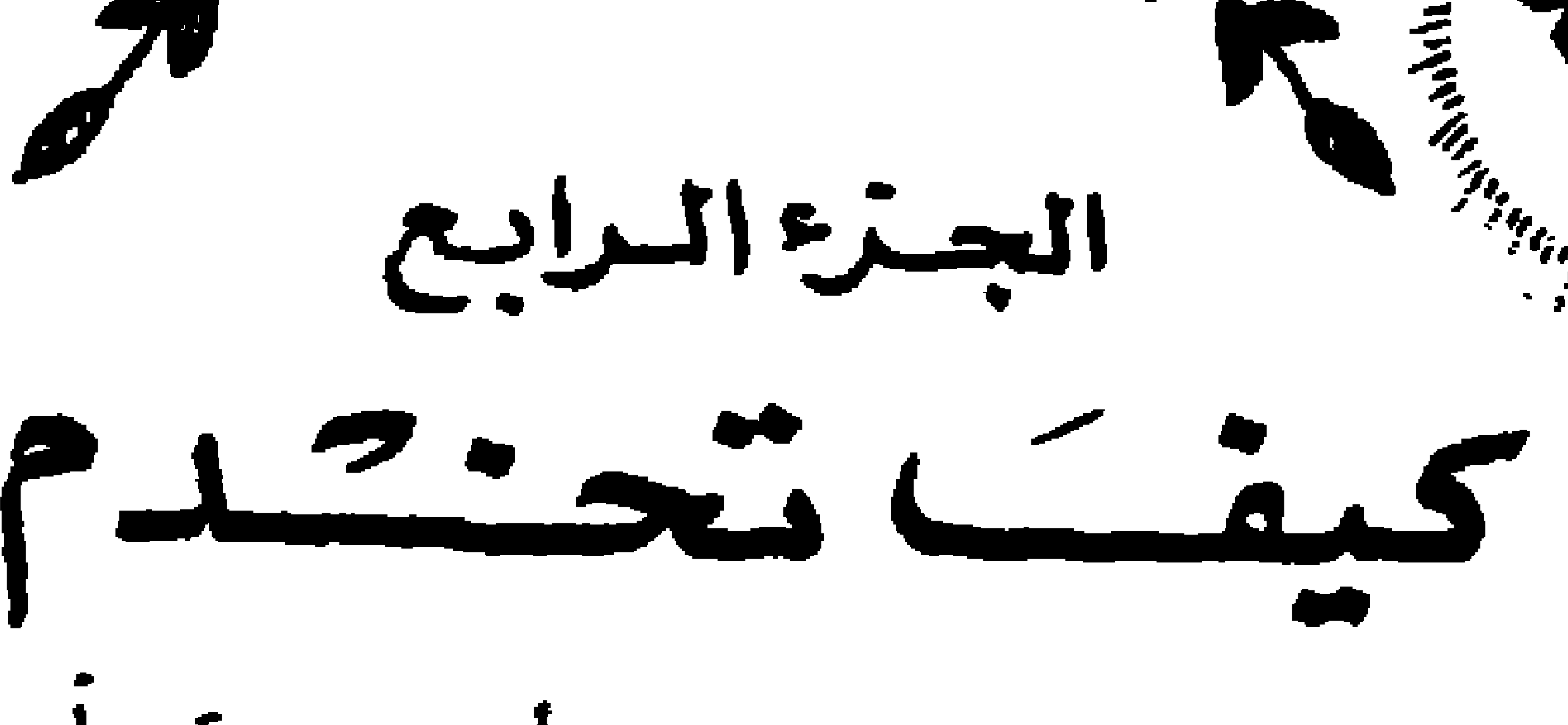
٦ - ولقد جرب بعض الخدام ، فى حالة فتورهم - فائدة صلاة الأطفال لأجلهم .

يمكن في إتضاع أن يقول لأولاده " أنا يا أولاد محتاج لصلواتكم. فأرجوكم أن تصلوا طول الأسبوع من أجلي " ... وصلاة الأطفال لها مفعول عجيب ، وبخاصة لو كانت تربطهم بمدرسهم مشاعر حقيقية من المحبة .

وعليه – في نفس الوقت – أن يشارك الأولاد في الصلاة من أجل نفسه . ولا يترك عائقاً عملياً في حياته يعوق الإستجابة .

حتى إن لم يصلِ الأولاد لأجله ، فمن أجل تواضعه وطلبه لصلواتهم ، قد يرفع الله هذا الفتور عنه .





الجزء الرابع

كيف تخدم

يشمل هذا الجزء - الذى نرجو أن يصدر قريباً موضوعات عملية فى الخدمة ، منها :

١ - مناهج ابتدائى ، وإعدادى ، وثانوى .
والأسس التى بنيت عليها .

٢ - طفل الحضانة والطفولة المبكرة .

٣ - طريقة تدريس العقائد على مستوى المراحل .

٤ - معاملة الطفل المشاكس فى فصلك .

٥ - النشاط الصيفى . ٦ - نادى الكنيسة .

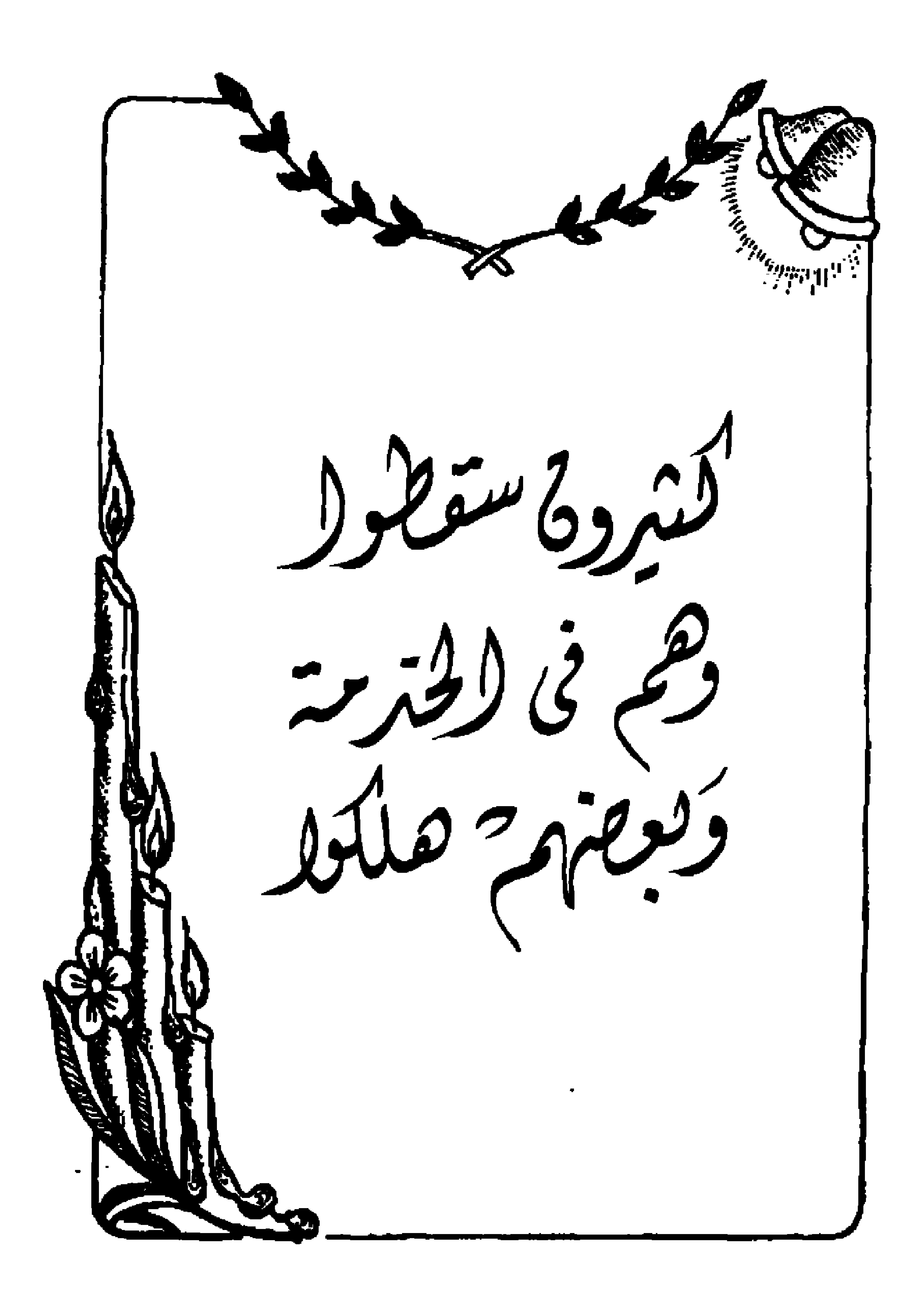
٧ - اجتماع الخدام : أسباب نجاحه وفشله .

٨ - تداريب للحفظ . ٩ - التراتيل والألحان .

١٠ - مشكلة العدد . ١١ - إعداد الخدام .

١٢ - الإفتقاد .

١٣ - الأنشطة فى التربية الكنسية .


كثيرون سقطوا
وهم فى الخدمة
وبعضهم هلكوا

كثيرون سقطوا وبعضهم هلكوا وهم داخل الخدمة

لا تظن يا أخى الخادم أن كل الذين سقطوا أو كل الذين هلكوا، كانوا خارج الكنيسة أو خارج الخدمة. فالكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة يسجلان لنا كثيراً من القصص والأحداث عن أشخاص ضاعوا وبعضهم هلكوا، وهم داخل الكنيسة وداخل الخدمة .

أمثلة :

★ لنأخذ مثلاً : ديماس مساعد بولس الرسول .

أو شريكه فيالخدمة ، الذى كان يذكره فى رسائله (كو٤: ١٤)، وفى إحدى المرات ذكره قبل لوقا البشير (فل٢٤). ديماس هذا زميل مرقس وأرسترخس، الذى لاشك أن العديدين آمنوا على يديه... هذا إنتهت حياته الروحية بمأساة، يشرحها القديس بولس بقوله " ديماس تركنى، إذ أحب العالم الحاضر " (٢تى٤: ١٠). وقيل عنه فى بعض أخبار التاريخ إنه إرتد وصار وثنياً !!

★ وليس ديماس وحده ، بل هناك آخرون قال عنهم القديس :

" لأن كثيرين ممن كنت أذكرهم لكم مراراً، والآن أذكرهم باكياً وهم أعداء صليب المسيح " (فى٣: ١٨) .

ويشرح الرسول مأساة هؤلاء فيقول " الذين نهايتهم الهلاك، الذين إلههم بطنهم، ومجدهم فى خزيهم، الذين يفتكرون فى الأرضيات " (فى٣: ١٩). أليس كل أولئك درساً لجميع الخدام لكى يحترسوا جيداً ، ويتذكروا قول الرسول :

" إذن من يظن أنه قائم ، فلينظر أن لا يسقط " (١كو١٠: ١٢).

السقوط ممكن ، حتى لخدام كانوا جبابرة ...

وأمثلتهم بعض ملائكة الكنائس السبع ، الذين أرسل لهم الرب رسائل على يد القديس يوحنا الرسول. أولهم راعى كنيسة أفسس الذى قال له الرب " أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك.. وقد إحتملت ولك صبر، وتعبت من أجل إسمى ولم تكل " (رؤ٢: ٢، ٣) ومع ذلك فإنه ترك محبته الأولى . وقال له الرب " اذكر من أين سقطت وتب.. وإلا فإنى آتيك عن قريب ، وأزحزح منارتك من مكانها، إن لم تتب " (رؤ٢: ٥). ما أرهب هذا الكلام ...

ولكن أخطر منه وأصعب ، ما قيل لملاك كنيسة ساردس :

" أنا عارف أعمالك أن لك إسماً أنك حى، وأنت ميت " (رؤ٣: ١) .

ومع ذلك كان خادماً ، ودُعى ملاكاً ، وكان واحداً من السبعة

الكواكب التى كانت فى يمين الرب (رؤ١: ٢٠). والرب يدعوه إلى التوبة وينذره (رؤ٣: ٣).

ومثله ملاك كنيسة لاودكية الذى قال له الرب : " لأنك فاتر ، ولست بارداً ولا حاراً ، أنا مزمع أن أتقيأك من فمى" (رؤ٣: ١٦).

★ **ومن أمثلة الذين ضاعوا فى الخدمة عالى الكاهن وأولاده.**

كان كاهناً للرب ، واستمر فى كهنوته إلى أن شاخ وضعفت عيناه. ولكن لأنه لم يرب أولاده ، ولما انتهرهم لم يفعل ذلك بحزم.. لذلك قطعه الله، وأمات ابنيه فى يوم واحد (١صم٢: ٣١، ٣٤). بل قال الرب " أقسمت لبيت عالى أنه لا يكفّر عن شرّ بيت عالى بذبيحة أو بتقدمة إلى الأبد " (١صم٣: ١٤) .. وسقط عالى الكاهن عن كرسيه فانكسرت رقبته ومات. وكان قد قضى لإسرائيل أربعين سنة " (١صم٤: ١٨) .. هلك الشيخ مع أولاده ، وهم فى الخدمة ! .

★ **هلاك آخر كان لشاول الملك ، مسيح الرب .**

أرسل له الرب صموئيل النبى ، فمسحه بالدهن المقدس ملكاً لشعبه ، وحلّ عليه روح الرب فتنبأ، حتى قال الشعب " أشاول أيضاً بين الأنبياء " (١صم١٠: ١١) .. ولكن كيف إنتهت حياة مسيح الرب هذا ؟! لقد أخطأ إلى الله ، فنزع روحه منه . وقيل فى

ذلك " وذهب روح الرب من عند شاول . وبغته روح ردئ من قِبل الرب" (١صم١٦: ١٤) ... ومات شاول هالكاً ...

★ **أيضاً الكتبة والفريسيون هم مثال آخر لهلاك خدّام وهم في محيط الخدمة ...**

كانوا معلمي الشعب في أيامهم ، وأكثر الناس تشدداً في حفظ الناموس ومعرفته ، وقد قال عنهم الرب في ذلك " على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون .." (مت٢٣: ٢) . ومع ذلك هلكوا وهم في خدمتهم . وأغلقوا ملكوت السموات قدام الناس، فلا هم دخلوا ولا تركوا الداخلين يدخلون وسماهم الرب " قادة عميان " (مت٢٣: ١٣، ١٦) ...

وقال لهم " أيها الحيات أولاد الأفاعي ، كيف تهربون من دينونة جهنم ؟!" (مت٢٣: ٣٣) ... ومع ذلك كانوا خداماً ومعلمين وقادة الخدمة والتعليم في أيامهم !!

★ **وكذلك أيضاً كان الكهنة في ذلك الجيل .**

أولئك الذين سماهم المسيح " الكرامين الأردياء" وقال لهم "إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره" (مت٢١: ٤٣). هؤلاء الكهنة ورؤساؤهم هم الذين حاكموا المسيح وأدانوه !! ووقفوا أمام بيلاطس يشتكون عليه (مت٢٧: ١٢) ويصيحون

طالبين صلبه (لو٢٣: ٢٣) . وهم الذين قاوموا القيامة ، ودفعوا رشوة للعسكر ليقولوا إن تلاميذ المسيح سرقوا الجسد (مت٢٨: ١٣) . كما كانوا هم الذين دفعوا الثلاثين من الفضة ليهوذا ليسلم سيده (مت٢٦: ١٤، ١٥) .

وهلك أولئك الكهنة ، وكانوا خداماً للرب، بل رسلاً لرب الجنود، ومن أفواههم تُطلب الشريعة (ملا٢: ٧) !!

★ مثال آخر ، هو الإبن الكبير فى قصة الإبن الضال :

الإبن الصغير كان يمثل الذين ضلوا بالذهاب إلى كورة بعيدة، وانفصلوا عن بيت الآب ، أما أخوه الأكبر فكان يمثل الذين ضلوا وهم فى الخدمة. بدليل قوله لأبيه " ها أنا أخدمك سنين هذا عددها، وقط لم أتجاوز وصيتك" (لو١٥: ٢٩). ومع ذلك كان ضائعاً وساقطاً وهو فى محيط الخدمة على الرغم من تلك السنين العديدة !

ما كان محباً لأخيه العائد، بل غضب لإكرامه ورفض أن يدخل البيت ويشترك فى فرح الأسرة به .

كذلك لم يكن مؤدباً فى حديثه مع أبيه . واتهم أباه بالبخل فى قوله " وقط لم تعطنى جدياً لأفرح مع أصدقائى" (لو١٥: ٢٩)، واتهمه بعدم العدل فى معاملة أولاده ، ولام أباه على إكرامه إبنه العائد. ولم تكن مشيئته متفقة أبداً مع مشيئة الآب .

ومع ذلك كان خادماً له فى الخدمة سنون هذا عددها !!

★ **الذين يهلكون وهم داخل الخدمة، يذكروننا بإبنة يايرس التى ماتت وهى فى بيت أبيها (لو٨: ٤٩ - ٥٢) .**

وتختلف عن إبن أرملة نايين الذى كان فى نعش فى الطريق (لو٧: ١٢) وعن لعازر الذى كان فى قبر وعليه حجر (يو١١: ٣٨) .

★ آدم أيضاً وحواء سقطا وهما فى الجنة .

★ **لعل يهوذا الأسخريوطى هو أسوأ مثال بشرى لمن هلكوا وهم فى الخدمة .**

كان واحداً من الإثنى عشر (مت١٠: ٤) . والسيد المسيح هو الذى أختاره ضمن الباقين . بل ميزه عنهم بأن عهد إليه بأمانة الصندوق، وبالإنفاق على الفقراء، والدليل على ذلك أنه لما قال له الرب موبخاً فى يوم خميس العهد " ما أنت تعمله فاعمله بأقصى سرعة " ظن البعض " إذ كان الصندوق مع يهوذا .. أن يسوع قال له إشترِ ما نحتاج إليه للعيد، أو أن يعطى شيئاً للفقراء " (يو١٣: ٢٧، ٢٩).

ولعل يهوذا اشترك فى الخدمة التدريبية الأولى (مت١٠)، وأخذ مع الرسل بعض المواهب (مت١٠: ١) ... وعلى الرغم من كل

ذلك هلك يهوذا .

★ **من الدروس النافعة أيضاً فى الخدمة : هلاك نبى معروف هو [بلعام] .**

كان رجلاً " مفتوح العينين ... يسمع أقوال الله، ويعرف معرفة العلى.. يرى رؤيا القدير، وهو مكشوف العينين" (عد٢٤: ١٥،١٦)

وهو الذى تنبأ عن السيد المسيح وقال "أراه وليس الآن . أبصره ولكن ليس قريباً . يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل، فيحطم طرفى موآب" (عد٢٤: ١٧) .

وهو الذى ظهر له ملاك الرب ، وكلمه الرب أكثر من مرة . وقيل فى ذلك " فوافى الله بلعام .. ووضع الرب كلاماً فى فم بلعام، وقال أرجع إلى بالاق وقل هكذا " (عد ٢٣: ٤، ٥) (عد٢٣: ١٦) . أما بلعام فقال لبالاق ولعبيده قبل ذلك : "ولو أعطانى بالاق ملء بيته فضة وذهباً ، لا أقدر أن أتجاوز قول الرب لأعمل خيراً أو شراً من نفسى . الذى يتكلمه الرب إياه أتكلم " (عد٢٤: ١٣) (عد٢٢: ١٨) .

وقيل " فكان عليه روح الله ، فنطق بمثله " (عد٢٤: ٢، ٣).

وقبل أن يتكلم كان يبنى سبعة مذابح، ويقدم محرقات: سبعة ثيران وسبعة كباش (عد٢٣: ١، ٢) (عد٢٣: ٢٩، ٣٠) .

وعلى الرغم من النبوءات والمحرقات والرؤى وحلول روح الله عليه، هلك بلعام ، وألقى معثرة أمام بنى إسرائيل .. " (رؤ٢: ١٤). وتحدث الكتاب عن "ضلالة بلعام" (يه ١١) ...

وقيل " إنه أحب أجرة الإثم " (٢بط ٢: ١٥) .

★ ولعل من أمثلة السقوط – وليس الهلاك – هارون أخو موسى :

هذا الذى كان رئيساً للكهنة ، ومسحه موسى النبى بالزيت المقدس حسب أمر الرب (خر٤٠: ١٣،١٦) (لا٨: ١٢)... هارون هذا هو الذى صنع لبنى اسرائيل العجل الذهبى الذى عبدوه!!

" فقال لهم هرون : أنزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها.. فأخذ ذلك من أيديهم ، وصوّره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً ... فلما نظر هرون ، بنى مذبحاً أمامه . ونادى هرون وقال : غداً عيد للرب . فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة " (خر٣٢: ٢ـ٦) .

ولما أنتهره موسى بعد نزوله من الجبل أجاب " انت تعرف الشعب أنه فى شر . فقالوا لى اصنع لنا آلهة تسير أمامنا .." (خر٣٢: ٢٢ـ٢٤) .. وهكذا سقط هذا الكاهن العظيم سقطة عظيمة. وسقط مرة أخرى حينما تكلم هو ومريم ضد موسى النبى

(عـد١٢: ١) فوبخهمـا الـرب . وضـرب مريـم النبيـة بـالبرص (عد١٢: ٤-١٠) .

وكانت مريم هذه هى التى قادت النساء فى تسبيح الرب بعد عبور البحر الأحمر ، والدف بيدها (خر١٥: ٢٠) .

وهى التى رتلت تلك الترنيمة الجميلة " سبحوا للرب فإنه قد تعظم . الفرس وراكبه طرحهما فى البحر " (خر١٥: ٢١) .

ومع ذلك فهذه النبية العظيمة ضربها الرب بالبرص ، ولم يسمع شفاعة موسى فيها ، إلا بعد أن طرحت خارج المحلة سبعة أيام (عد١٢: ١٣-١٥) .

ننتقل بعد هذا من أحداث الكتاب المقدس إلى التاريخ ..

تاريخ الكنيسة يحكى لنا أيضاً أمثلة من الذين هلكوا وهم فى الخدمة . وبعضهم وصلوا إلى قمم عالية فى الخدمة :

ومن أمثلة ذلك بعض الهراطقة الذين قد حرمتهم الكنيسة ، وكانوا من الخدام البارزين فيها :

مثال ذلك : أريوس الذي كان أعظم واعظ فى الأسكندرية . وقد هلك بسبب إنحرافه فى التعليم ، وهو واعظ يخدم ، وهو قس فى الكنيسة الكبرى بالأسكندرية . وقد استمر فى عناده وهرطقته ، فحرمه مجمع نيقية المقدس .

ومثل آريوس ، نتحدث أيضاً عن نسطور ومقدونيوس بطريركى الكرسى العظيم فى القسطنطينية

كان كل منهما فى جيله فى قمة الخدمة فى كنيسته .. ووقع كل منهما فى هرطقة وهلك . مقدونيوس حكم عليه المجمع المسكونى الثانى المنعقد فى القسطنطينية سنة ٣٨١م . ونسطور حكم عليه المجمع المسكونى الثالث المنعقد فى أفسس سنة٤٣١م . وماتا محرومين هالكين ، وقد كانا على رأس كنيسة كبيرة وفى قمة خدمتها .

وبنفس الوضع تقريباً نتكلم عن هلاك أوطاخى وكان أباً روحانياً كبيراً على رأس دير فى القسطنطينية !

وضاعت كل خدمته السابقة فى رعاية دير كبير ، وحرمته الكنيسة ، فضاعت حياته الروحية أيضاً ، إذ وقع كذلك فى هرطقة.

إن كان الأمر كذلك مع كل أولئك الجبابرة فى الخدمة ، فليحترس إذن كل خادم . وليضع أمامه قول القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس " لاحظ نفسك والتعليم ، وداوم على ذلك . فإنك إن فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً " (اتى٤: ١٦).

فهرست الكتاب





بسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين

فى الكتابين السابقين من مجموعة " الخدمة الروحية والخادم الروحى" قدمنا لك ١٨ موضوعاً فى الخدمة .

وفى هذا الكتاب نقدم لك ١٢ موضوعاً ، منها ثلاثة موضوعات كبيرة هى :

أ - العمل الفردى .

ب - رابح النفوس حكيم .

ج - لاحظ نفسك والتعليم .

ونحدثك أيضاً عن العمل الإيجابى ، والجدية فى الخدمة ، والدموع فى الخدمة ، ورسالتك فى الحياة .. كما نحدثك عن الخدمة والفتور، والذين سقطوا أو هلكوا، وهم فى مجال الخدمة.

وإلى اللقاء فى الكتاب الرابع عن " كيف نخدم ؟ " .

البابا شنوده الثالث

